

قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن هذا القرآن مأدبة الله فخذوا منه » رواه الدارمي .

مقدمة المحقق

تمهيد :

نحمدك الله حمداً يوافي نعمك ويكافئ مزيديك ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائك وصفوة خلقك سيدنا محمد ، وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهداة الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة أو الدين بضاعة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ (١) .
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة كتاباً من أنفس الكتب فى فنه ألا وهو « فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية » من علم التفسير للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى .

أما عن المؤلف : فهو عملاق من عمالقة الإسلام ، ومفكر ألمعى ، له فى دنيا المعرفة صولات وجولات ، وغواص ماهر ، كان دائماً يغوص فى بحار الكتب وفى أعماق المؤلفات ، يفتش عن الجواهر المكنونة ، والكنوز المدفونة ، وعالم من علماء التفسير استطاع بكتابه هذا أن تكون له بصمات مضيئة على جبهة التاريخ ، التى دائماً ترصد أعمال العباقرة ، وتسجل أفكار المبدعين . يصفه أحد رجالات الفكر قائلاً :

« كان إماماً يعول عليه ، ورأساً يرحل إليه ، فريداً فى عصره ، ونادرة لدهره ، وقدره لغيره ، بحرّاً فى العلم لا يجارى ، ومفسراً للقرآن لا يبارى ، ومحدثاً لا يشق له غبار ، ومجتهداً لا يثبت أحد معه فى مضمار » .

أما عن الكتاب : فيعتبر أصلاً من أصول التفسير، ومرجعاً مهماً من مراجعه ؛ لأنه جمع بين التفسير بالرواية ، والتفسير بالدراية .

التفسير بالرواية - والذي يسمى : « التفسير بالمأثور » - وهو يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن ، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة ، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقف على الصحابة - رضوان الله عليهم - وبعض المروى عن التابعين .

والتفسير بالدراية - والذي يسمى : « التفسير بالرأى » - وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفة الألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، وخبرته بالشعر العربى ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، ثم الموهبة وهى علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ ﴾ (١)، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم » . قال صاحب البرهان : « اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحي ، ولا تظهر أسرارهِ وفى قلبه بدعة ، أو كبر، أو هوى، أو حب دنيا » .

قال الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ ﴾ (٢) . قال ابن عيينة : أنزع عنهم القرآن .

والإمام الشوكانى - رحمه الله - حباه الله - سبحانه وتعالى - بكل ذلك ، فكان هذا التفسير الذى جمع بين صدق الرواية ، وعمق الدراية .

وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نقدم بين يدى القارئ فى هذه المقدمة النقاط الآتية :

- ١ - الحالة السياسية فى عصر الشوكانى .
- ٢ - الحالة العلمية فى عصر الشوكانى .
- ٣ - التعريف بالإمام الشوكانى .
- ٤ - حياة الشوكانى العلمية وجهاده فيها .
- ٥ - التدريس ، والإفتاء ، والقضاء .
- ٦ - التعريف بشيوخه وتلاميذه .
- ٧ - مؤلفاته .
- ٨ - منهج الشوكانى فى التفسير .
- ٩ - عملنا فى هذا الكتاب .

ونرجو من الله العلى القدير أن يعيننا على ذلك ، وأن يلهمنا الرشد والصواب، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الحالة السياسية في عصر الشوكاني

الباحث المدقق في حياة اليمن السياسية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، يرى أن اليمن كانت تعيش في حالات من القلق والاضطراب الدائم، والفتن المستمرة، والثورات التي لا ينطفئ لهيبها؛ وذلك لسببين:

أولهما: النزاع المستمر، والمصادمات التي تسيل فيها الدماء وترهق فيها مجموعة من الأرواح والتي كانت تقام بين الأسرة الحاكمة ورؤساء العشائر والقبائل من آونة لأخرى.

ثانيهما: طمع كثير من الدول الكبرى في اليمن ومحاولة الاستيلاء عليها، باعتبارها لقمة سهلة يمكن ازديادها بسبب كثرة التناحر بين أبنائها والمتطلعين إلى الوثوب في الحكم فيها. من ذلك أن أوروبا أعدت العدة، وجيشت الجيوش الكثيرة لاحتلال جنوب الجزيرة العربية.

ثم فكرت الدولة العثمانية في غزو اليمن لأسباب تكاد تكون غير معروفة عام ٩١٥هـ، فأعدت العدة، وجيشت الجيوش بقيادة سليمان باشا لتلك الحملة، وسارت السفن الحربية حتى رست في جزيرة قمران قرب الحديدة، بأمر السلطان سليمان بن سليم العثماني. وقضت تلك الحملة وما بعدها من حملات على جميع السلطات باليمن حاشا الدولة الزيدية، واستمرت الحرب بين الدولة العثمانية، وبين الأئمة الزيدية، إلى أن انتهت في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين عام ١٣٣٥هـ.

ولقد كانت هناك مكاتبات ومعاهدات بين الدولة العثمانية والأئمة الزيدية، انتهت بإيقاف الحرب بعد أن أفتت القوة الضاربة في اليمن الكثير من جيوش الدولة العثمانية على أرض اليمن حتى أطلق عليها بعض المؤرخين: مقبرة الغزاة.

ولكن مما يؤلم النفس ويجرح القلب، أن الدولة العثمانية المسلمة عندما فكرت في ترك دولة اليمن سلمت منطقة عدن إلى القوات البريطانية والتي ساعدها ذلك على استعمار المنطقة كلها، ثم أشاعت الفرقة والخلاف بين أبناء الوطن الواحد، الأمر الذي أدى إلى تقسيم اليمن إلى شطرين، والذي يعرف اليوم باليمن الجنوبية، واليمن الشمالية. ولقد كان في عصر الشوكاني علاقات جوار طيبة بين دولة اليمن ودولة الأشراف في مكة وتهامة.

وكان بين الدولتين المتجاورتين رسائل ومكاتبات للتعاون بينهما في مجال السياسة والاقتصاد، ومحاربة العدو المشترك. واستمر الوضع على ذلك حتى أرسل محمد علي باشا - والي مصر في ذلك الوقت - جيشاً كثيفاً استولى به على مكة وغالب الجزيرة العربية.

والمرء يعجب من ذلك ويحاول أن يبحث عن المبررات والأسباب التي أوجدت هذا التقاتل. لقد كانت سيوف المسلمين مشرعة للخارج، وكانت تلك السيوف لها غاية وتعمل

لهدف، وهو نشر دين الله، والدعوة إلى توحيد الخالق المبدع ، وكان لتلك السيوف دورها الكبير في أربعة أركان الأرض ، فما بال تلك السيوف التي كانت بالأمس عامل إيمان وإسلام قد تحولت على ساحة اليمن إلى عوامل هدم وتدمير ونزاع وشقاق بين أخوة الدين والعقيدة؟!!

ولقد سجل الشوكاني ، بقلمه الفذ وعقله الأملع ، الكثير من المواقف المبكية المضحكة في آن واحد على صفحات كتابه : « البدر الطالع » ، والحق يقال : إنه وثيقة حية يجب أن يعيها المسلمون في كل أرض ومصر حتى لا يكونوا طعمة للذئاب . . . فهل تراهم يسمعون؟! نرجو من الله ذلك .

الحالة العلمية في عصر الشوكاني

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية » (١) .

لقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل اليمن بالحكمة ، ووصفهم في حديث آخر بالأمانة ، ولقد كانوا هكذا في عصر النبوة ؛ جاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتفقهوا في الدين ، ويأخذوا القرآن ، ويتعلموا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عادوا إلى بلادهم لنشر العلم وتلقيه غيرهم امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، حتى أصبحت اليمن كعبة لحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومدرسة كبرى لتدريس السنة والتفقه في أمور الدين . ومن العلماء الأئمة الأجلاء الذين ذهبوا إلى ساحة اليمن : محمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن المبارك ، وابن معين ، ومحمد بن يحيى النيسابوري ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم كثير .

ثم ماذا . . ؟

تحولت هذه القلعة الحصينة إلى ساحة مباحة لكثير من المذاهب الهدامة وغيرها من المذاهب المعتدلة ، فكان يعيش على أرض اليمن في عصر الشوكاني : الزيدية أتباع زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضى الله عنهم - وكان الشوكاني في بداية أمره على مذهب الزيدية .

وأيضا كانت المعتزلة أتباع واصل بن عطاء ، والأشاعرة أتباع الأشعري ، الذى يتصل نسبه بأبى موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى ينتسب إلى الأشعريين باليمن ، والذى قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرهم ولا ينهونهم . . ؟ » والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قالوا : الأشعريون .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ذكرت أقواما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا . . ؟ فأعاد عليهم ما ذكره فى خطبته : « ليعلمن قوم جيرانهم أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا » .

فقالوا : يا رسول الله ، أنظن غيرنا ؟ فأعاد عليهم ما قاله ، فقالوا : يا رسول الله ، أمهلنا

(١) الحديث رواه الترمذى فى فضائل أهل اليمن . (٢) التوبة : ١٢٢ .

سنة ، فأمهلهم ^(١) ، وقرأ عليهم قول الله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (٢) .

وكان على أرض اليمن الباطنية: وهى فرقة تدعى أنها من الشيعة، ظاهرها التحلل وباطنها الكفر الصراح ، تؤول نصوص القرآن الكريم حتى يتوافق مع ما تدعو إليه ، وتشكك فى الأحاديث المروية عن طريق أهل السنة والجماعة وتستبيح المحرمات ، وتستحل سبى المسلمين من غير فرقتهم ، وتكفر الصحابة إلا القليل منهم .

وهذه الفرقة عاش أصحابها فى العراق فترة ، وكانوا يطلقون عليهم أسماء عدة ، فهم الباطنية مرة ، والقرامطة أخرى، والمزدكية ثالثة، وكانوا يسمون بخراسان : تعليمية وملحدة .

ويقال بأن تعاليم هذه الفرقة دخلت إلى اليمن سنة ٢٩١هـ ، حيث بعث ميمون القداح إلى اليمن اثنين من دعائه ، فلما وصلا إليها أظهرها الزهد والورع والتقشف حتى مال الناس إليهما ، وقصدهما العامة من كل مكان للتبرك بهما ، وجمعوا لهما المال ، وعظم شأنهما ، وأظهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحصنا الحصون ، وبنيا القلاع ، وبدءا بتنفيذ الخطة ، واستوليا على اليمن بأسره إلا القليل منه .

ولما تم لهما ما أرادا أظهرهما مذهبهما الخبيث، ويقال بأن على بن الفضل – أحد الرجلين اللذين أرسلهما ميمون القداح – أظهر الكفر البواح فى بعض ما يقوله من الشعر ، من ذلك :

خذى الدف يا هذه واضربى	وغنى هزا ربك ثم أصربى
تولى نبى بنى هاشم	وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضر شرعه	وهاتى شريعة هذا النبى
أحل البنات مع الأمهات	ومن فضله زاد حل الصبى
قد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام فلم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى	وإن أمسكوا فكلى واشربى ^(٣)

إن هذه الأبيات تدل على الكفر البواح ، وعلى الارتداد عن الإسلام بالكلية، لقد حارب الخليفة أبو بكر الصديق الذين امتنعوا عن أداء الزكاة وقال كلمته المشهورة: «والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخارتهم عليه». فما بالك بهؤلاء الذين يرفضون كل تعاليم الإسلام وينصبون لهم نبيا جديدا بعد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى». وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٤) .

(١) راجع : أضواء على البحث والمصادر للمحقق . (٢) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) راجع : الإمام الشوكانى مفسراً للدكتور محمد حسن الغمارى : ص ٤٢ بتصرف .

(٤) الأحزاب : ٤٠ .

وكان يعيش على أرض اليمن أيضاً جماعة المتصوفة . والتصوف إذا كان الهدف منه تصفية النفس وتطهيرها عن طريق ما شرعه الله تعالى لعباده وأوحى به لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم من كثرة النوافل والعبادات ، فهذا لا غبار عليه ؛ لقوله تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه : « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ولئن سألتى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيننه » .

إذا كان التصوف هو تجنب الحرام ، وأداء التكاليف والتوكل على الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، نقول : إذا كان ذلك كذلك ، فنعلم العبد الذى يأخذ نفسه بهذا ، ولكن واقع الأمر فى عصر الشوكانى أن تحول التصوف إلى التحلل من التكاليف الشرعية ، والتقرب إلى الأموات بالتذوق ، وأن يطلب منهم النفع والضرب ، والإحياء والموات . وهذا الشيء خارج عن نطاق الإسلام .

وهؤلاء كان لهم فى اليمن باع طويل ، ودولة ووصولان، فندد بهم الشوكانى ، وطالب العامة بالانفصاض عنهم بعد أن كشف لهم زيفهم وضلالهم ، ثم وضع لهم كتابه « قطر الولى » فارقا فيه بين التصوف وأدعياء التصوف ، ولا شك أن هذه الاختلافات الكثيرة ، والفرق المتعددة التى كانت تعيش على أرض اليمن ، دفعت العلماء إلى شحذ قرائحهم وشرع أقدامهم للدفاع عن دين الله الخنيف، فكانت حركة علمية ناهضة وسوقا للمعرفة رابحة ، الأمر الذى دفع الإمام الشوكانى إلى نزول الميدان وخوض هذه المعركة الضارية ، بالتعليم مرة ، وإصدار الفتاوى أخرى ، والحكم الصارم على هؤلاء المارقين مرة ثالثة ؛ فإذا خلا إلى نفسه تناول قلمه ، وأخذ يؤلف ويجتهد ويخرج للأمة الإسلامية لب الشريعة ، وحقيقة الدين ، ويطالبهم بالسير على الصراط المستقيم حتى يكونوا جديرين بقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

التعريف بالإمام الشوكاني

١ - نسبه ومولده :

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني . والشوكاني نسبة إلى هجرة شوكان - قرية بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم - وهي نسبة والده ، والصنعاني نسبة إلى صنعاء عاصمة اليمن .

ولد بهجرة شوكان - كما سجل والده - في وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣هـ (١) .

وقد ترجم الشوكاني لوالده : علي بن محمد بن عبد الله ، وانتهى بنسبه إلى أحد زعماء اليمن في عهد الإمام الهادي إلى الحق : يحيى بن الحسين بن القاسم الرسمى ويسمى : «الدعام» ، وأشار الشوكاني إلى أن الهادي ذكره في إحدى خطبه على أنه من أنصاره الذين أعانوا على قدومه إلى اليمن . ثم يتبع هذا النسب في مظانه المختلفة حتى يصل به إلى أرحب . ثم إلى بكيل ، ثم أخيراً إلى آدم عليه السلام .

٢ - نشأته وطلبه العلم :

نشأ كما ينشأ أترابه بمدينة صنعاء - إحدى العواصم العربية - والتي كانت مركزاً من مراكز المعرفة ، وقلعة يهفو إليها طلاب العلم ، وكيف لا تكون كذلك ، وهي موطن الملوك الصيد ، ومملكة بلقيس الملكة المحنكة والسياسية البارة ، والتي ما كادت تقرأ خطاب سليمان - عليه السلام - وينطق لسانها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » حتى أظعنن إليه ، ووقفت بين يديه ، وأعلنت إسلامها ، والإقرار بتوحيد خالق الأرض والسماوات ، قال الله تعالى حاكياً قولها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

على هذه الأرض الطيبة ، وبين الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء والخضرة اليانعة الممتدة أمام البصر ، والتي تغطي مساحات كبيرة من هذا البلد المعطاء - عرفت قدماء السير في دروبها ، ولم تنعم طفولته كثيراً باللهو واللعب ، ولكنها كانت طفولة جادة متفتحة ، فعرف الطريق إلى المسجد مبكراً ليجلس مع لداته وأترابه في مسجد صنعاء الجامع ، يقرأ القرآن ، ويستظهره على يد أحد مشايخها ، ولم يمض وقت طويل من عمر الزمن على الطفل الطلعة ، حتى حفظ القرآن الكريم ورتله .

وكان والده في ذلك الوقت قاضي صنعاء ومن العلماء البارزين فيها ، يمتاز بالصلاح والتقوى ، عادلاً في أحكامه فقيهاً واعياً وعلى دراية كاملة بعلوم الشريعة . فلمس النجابة في

ابنه والذكاء فى عقله، فأخذ ينحله التصيحة ، ويقدم له خلاصة علمه وتجاربه، وقدم له مكتبته التى جمعها فى سنوات عمره الطويلة ، وكانت مكتبة الوالد حافلة بكل المعارف والفنون ، فعكف عليها حافظاً لمتونها ، وفاحصاً ومنقبا عن جواهرها .

ولقد كان الشوكانى فى المرحلة الأولى من حياته متفرغاً تفرغاً كاملاً لطلب العلم ، ولم يكن هناك عائق يشغله عن طلب العلم . أما متطلبات الحياة وتكاليف المعيشة فكان الوالد متكفلاً بها بالكامل . وكان فى حياته الدراسية لا يكتفى بدراسة الكتاب مرة ، بل يتتبع بالكتاب الواحد عدداً من الأساتذة حتى يستفرغ ما عندهم من علم ، كما فعل بكتاب «شرح الأزهار» الذى قرأه على أربعة من العلماء أحدهم والده وآخرهم شيخ شيوخ الفروع فى وقته الإمام أحمد بن محمد الحرازى والذى لازمه الشوكانى - كما يقول عن نفسه - ثلاثة عشر عاماً وتخرج على يديه .

ولم يكتف الشوكانى بشيخ أو بعدة شيوخ ، ولكنه كان دائماً باحثاً ومنقبا عن البارزين من علماء عصره ، والمتخصصين فى مختلف العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ، والرياضية والفلكية ، وكان يلزمهم ملازمة كاملة حتى يستفرغ كل ما عندهم من علم ، فإذا عاد إلى منزله عكف على مكتبة والده مقارناً بين ما كتبه العلماء السابقون وما يسمعه مشافهة من العلماء الدارسين .

والذى يقرأ ما كتبه عن نفسه فى طلب العلم، وما استوعبه من كتب ومؤلفات ، يشعر للوهلة الأولى أن الشوكانى درس دراسة واسعة واطلع اطلعاً يندر أن يحيط به غيره من معاصريه . وليس من المستطاع فى هذه المقدمة أن نقدم بين يدى القارئ ثبناً بكل ما درسه من كتب ، أو استجازه من مراجع ، ومن يرجع إلى كتابه «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر» يدرك مدى ما كان عليه هذا الرجل من تنوع فى الثقافة ، واتساع فى فنون المعرفة . الأمر الذى جعله عالم عصره، وفارس ميدانه .

وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على حياته العلمية وجهاده فى هذا المضمار .

حياة الشوكاني العلمية وجهاده فيها

قلنا آنفاً : ومن يرجع إلى كتابه « إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر » يدرك مدى ما كان عليه هذا الرجل من تنوع فى الثقافة ، واتساع فى فنون المعرفة ، الأمر الذى جعله عالم عصره ، وفارس ميدانه .

عندها أخذ يفتش فى مجتمعه فى اليمن، وكذلك فى بلاد المسلمين من حوله دارساً وباحثاً ومنقّباً وراصداً لمعتقدهم إزاء الإسلام وأهله .

وأسلمته المقدمات إلى النتائج التى تتمثل فى الجمود المغيم ، والتقليد الموجه الذى يسوق أبناء الأمة الإسلامية إلى حالة من الفوضى القاتلة المنبثقة من التقاليد البالية والشعبذات المريضة ، التى أبعدت الناس عن صفاء العقيدة وجعلتهم يلهثون خلف كل دجال يدعى أن فى القبور من يخلصهم من مشاكلهم ، ويحقق لهم السعادة والهناء . أو بليد الإحساس يدور فى فلك الخواشى والتعليقات ، وبعضهم سار خلف أدعياء العلم الذين جمدوا على آراء السابقين ، واتخذوا التشيع عقيدة ، والتصوف - المنحرف - منهجاً ومسلكاً .

فرفع « الشوكاني » معول الهدم لتحطيم هذه المعتقدات البالية ، وكسح هذه الترهات المتعفنة ، ووضع أمام أبناء الأمة الإسلامية - على أنقاض هذا الهدم - العلاج النافع والشفاء العاجل ، وذلك بالعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وأفرغ منهجه هذا منهج الإصلاح فى كتابه العظيم : « الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل » (١) .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى أن الشوكاني قال للأمة الإسلامية : إن البلاء لا ينزل على البلاد إلا بسبب المعاصى التى يرتكبها أهلها . ومن هنا كانت وصية عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - للجيش المحارب قائلاً : « أمركم بتقوى الله على كل حال ، فإنها أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيده فى الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا وديننا لم تغلبهم بقوتنا » (٢) .

ويقول الشوكاني : « فقد سلط الله على المسلمين طوائف من عدوهم عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، ولم يحرصوا على العمل بالشرعية المطهرة ، كما وقع من تسليط

(١) تم طبع هذا الكتاب فى مكتبة النهضة بالقاهرة .

(٢) راجع : كتاب « هذا هو الطريق » للمحقق : ص ٢٧ . ط . دار اللواء ، الرياض .

الخوارج ، ثم تسليط القرامطة ، والباطنية ، ثم تسليط الترك ، وكما يقع كثيراً من تسليط الفرنج ونحوهم» (١) . ثم نراه يصنف أفراد الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام :

أ - أتباع الحاكم وحاشيته وجنده .

ب - سكان البادية والقرى .

ج - سكان المدن والحضر .

أما القسم الأول ، فيقول عنه : « رعايا يأتمرون بأمر الدولة ، ويتتهون بنهيها ، وأكثر هؤلاء لا يحسنون الصلاة ، فمنهم من تركها كلية ، ومنهم من أداها بطريقة غير مقبولة ، وكذلك الصيام ، فربما لا يكمل شهر رمضان صوماً إلا القليل ، وكثيراً ما يأتي هؤلاء بالفاظ كفرية كالحلف بالطلاق ، والحلف بالخروج من الدين ، والاستغائة بغير الله تعالى من نبي أو رجل من الأموات» (٢) .

هذه هي حال الطائفة الأولى : منهم من ترك الصلاة التي هي عماد الدين والتي قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ، ومنهم من سها عنها ولم يقيم بها كما أمر الله تعالى فوقع تحت قوله تعالى : ﴿ قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٣) .

والقسم الثاني : « الذين لم يسكنوا المدن ، وهؤلاء الأمر فيهم أشد وأفظع ، فإنهم جميعاً لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ، وباجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الإسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم ، بل كلمة الشهادة قد ضاعت من ألسنتهم فضلاً عن قلوبهم ، وسط الانشغال بأولياتهم من أصحاب القبور ، ومن يدعون الإصلاح فيهم » .

إن هذا القسم هم المسلمون عن طريق الميراث ، أو بعبارة أوضح : مسلمون عن طريق شهادات الميلاد ، أما عن التكاليف التي شرعها الله فتكاد تكون معطلة بالكامل في هذا المجتمع الذي أوشك أن يعود إلى ما كانت عليه الجاهلية الأولى ، والتي كانت تنحصر تكاليفها في الطواف حول الأصنام وتقديم القرابين إليها ، وتلقى الأوامر من الكهنة وأدعياء الألوهية المزيفة .

والقسم الثالث : « وهم الساكنون في المدن ، فهم لا يحسنون أركان الصلاة ، ويتعاملون في بيعهم وشرائهم بطرق يخالفون فيها المسلك الشرعى ، وكثيراً ما يقع منهم الربا ، ويتكلمون بالآلفاظ الكفرية ، وينهمك كثير منهم في معاصي صغيرة وكبيرة ، ومع ذلك فهم أقرب الناس إلى الخير ، وأسرعهم قبولاً للتعليم إذا وجدوا من يعزم عليهم بعزيمة مستمرة ودائمة» (٤) .

(١) رسالة الدواء العاجل : ص ٦٥ . ضمن مجموعة طبع السنة المحمدية .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٦ . (٣) الماعون : ٤ ، ٥ .

(٤) رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل : ص ٧٠ .

ثم ماذا بعد هذا الأمر الذى عم وطم - كما يقال - لقد أعد للأمر عدته ، وقرر أن يترك المجتمع أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، وموضحاً للأمة الإسلامية تعاليم دينها ، ومطالباً لها بالعودة إليه ، بعيداً عن ضلال المضلين وتزييف المزيفين وتهويمات المغالين . وبدأ عمله ذلك بتوجيه النداء والنصيحة إلى حاكم المسلمين باعتبار أنه المسؤول المباشر عن الرعاية . فقال : « والواجب على إمام المسلمين وعلى أعوانه تفقد هؤلاء ، والبحث عن مباشرتهم وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليهم .. » .

ثم يختم هذه الرسالة قائلاً :

« والله المأمول أن يلهم إمام المسلمين - أقام الله به أركان الدين - القيام بما أرشدناه إليه في هذه الرسالة ، وإبلاغ الجهد في أحوال هذه الأحكام التى ذكرناها ، فإنه إن فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة ، ولم يسلط عليهم عدواً قط كائناتاً من كان »^(١) .

يقول الدكتور إبراهيم هلال : ويمكن أن نتبين أبعاد هذه الحياة العلمية العملية فى ثلاثة خطوط بارزة :

- ١- دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد .
 - ٢- دعوته إلى العقيدة السلفية فى بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة - رضوان الله عليهم .
 - ٣- دعوته إلى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك الخفى^(٢) .
- وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على جهاده فى هذه الميادين الثلاثة .

دعوة الشوكانى إلى الاجتهاد ونبذ التقليد :

إن الإمام الشوكانى بدعوته إلى الاجتهاد أراد أن يخرج الأمة الإسلامية من جمودها الذى كانت تعيش فيه ، ويوقظها من سباتها ومن عكوفها على آراء فئة من العلماء اجتهدوا لعصرهم ، وأخذوا من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم ما يتلاءم مع حياتهم ومتطلبات ظروفهم .

والشوكانى يرى أن لكل عصر ملابساته ، وما يجد فيه من معاملات ، وما يحدث فيه من أعراف تقتضى تعديل الأحكام الاجتهادية لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة ؛ ولذلك قال الإمام مالك - رضى الله عنه - : « تحدث للناس فتاوى بقدر ما أحدثوا »^(٣) . وقال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - : « تحدث للناس أقضية على قدر ما أحدثوا من الفجور »^(٤) .

(١) رسالة الدواء العاجل فى العدو الصائل : ص ٧٢ .

(٢) راجع : مقدمة كتاب : ولاية الله والطريق إليها . تحقيق د . إبراهيم هلال : ص ٨ .

(٣) راجع : السياسة الشرعية مصدر للتقنين : دكتور عبد الله القاضى : ص ٢٨٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٢٨٥ .

وإذا كان ذلك كذلك ، فما هو الاجتهاد فى عرف فقهاء الإسلام . . ؟
يرى الإمام الآمدي فى كتابه « الإحكام » : « أن الاجتهاد هو بذل الجهد للوصول إلى الحكم الشرعى من دليل تفصيلى من الأدلة الشرعية » (١) .

ويشترط فى المجتهد شروطاً من أهمها :

أ - علمه باللغة العربية وطرق دلالتها .

ب - علمه بالأحكام الشرعية التى جاء بها القرآن الكريم وبالآيات التى نصت على هذه الأحكام ، وعلمه بالسنة النبوية وبالأحكام التى وردت بها السنة النبوية ، وعلمه بدرجة هذه السنة من الصحة أو الضعف فى الرواية .

ج - وأن يكون على دراية بالقياس ، ويعرف المسالك التى مهدها الشارع لمعرفة علل أحكامه ، ويكون خبيراً بأحوال الناس ومعاملاتهم ، إلى غير ذلك من الشروط التى تطلب فى مظانها .

ولكن الإمام الشوكانى : يرى أن المجتهد لا يحتاج إلى كل هذه الشروط ، فنراه يقرر قائلاً : « والذى أدين الله به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشيء من النحو والصرف وشرط من مهمات كليات أصول الفقه فى ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، ولا يحل التمسك بما يخالفه من رأى سواء كان قائلاً واحداً أو جماعة أو الجمهور » (٢) .

وإذا ادعى المقلدون أن الله تعالى تفضل على السابقين من الصحابة والتابعين بالعقل الراجح والموهبة الكبيرة ، الأمر الذى جعل لديهم القدرة على استنباط الأحكام والاجتهاد فى شرع الله ، نراه يشجب هذه المقالة مبطلاً هذا الادعاء بقوله : « قد ادعوا أن الله قد رفع ما تفضل به على من قبلهم من الأئمة من كمال الفهم وقوة الإدراك ، والاستعداد للمعارف ، وهذه دعوى من أبطل الباطلات ، بل هى جهالة من الجهالات ، فإن نهاية العالم ليست كبدائته ، بل هو سائر فى طريق التطور والكمال والنضج العقلى عن طريق ازدياد المعارف وتطورها » (٣) . ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) : « وهذه الخصلة - التقليد - هى التى بقى بها اليهودى على يهوديته والنصرانى على نصرانيته والمبتدع على بدعته ، فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا لكونهم وجدوا آباءهم فى اليهودية والنصرانية والبدعية . . . وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص ، فيا من نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية أنا لك النذير المبالغ فى التحذير من

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ٤ / ١٦٢ ، وعلم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف : ص ٢١٨ .

(٢) راجع : البدر الطالع ٢ / ٨٤ وما بعدها نقلاً من كتاب ولاية الله : ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢ . (٤) الأعراف : ٢٨ .

أن تقول هذه المقالة وتستمر على هذه الضلالة » .

ثم يقول : « ولو كان محض رأى أئمة المذاهب وأتباعهم حجة على العباد لكان لهذه الأمة رسل كثيرون متعددون بتعدد أهل الرأى المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به ، وإن من أعجب الغفلة وأعظم الذهول عن الحق اختيار المقلدة لأراء الرجال مع وجود كتاب الله ووجود سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووجود من يأخذونهما عنه ووجود آلة الفهم لديهم وملكة العقل عندهم » (١) .

ولقد وضع لهذه الغاية - الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد - العديد من المؤلفات منها :

« أدب الطلب ومنتهى الأرب » الذى يقول فيه :

يا غارقين بشؤم الجهل فى بدع	ونافرين عن الهدى القويم هُدوا
ما باجتهاد فتى فى العلم منقصة	النقص فى الجهل لآحياكم الصمد
لا تسكروا موردا عذبا لشاربه	إن كان لا بد من إنكاره فردوا

وكتابه : « القول المنيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد » وكتابه : « السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار » والذى قال عنه - أثناء إعداده - : « وهذا الكتاب إن أعان الله على تمامه فسيعرف قدره من يعترف بالفضائل وما وهب الله لعباده من الخير » .

وكتابه : « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » ، والذى قال عنه : « فإنه لما شاع على ألسن جماعة من (الرعا) اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق فى العلوم دون خلفها ، حتى اشتهر عن جماعة من أهل هذه المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون . . . حدانى ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغنى خبره إلى عصرنا هذا .

ليعلم صاحب تلك المقالة أن الله تعالى - وله المنة - قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف ، بل ربما كان فى أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر فى هذا الكتاب » (٢) .

وبعد : هل نجح الشوكانى فى دعوته إلى الاجتهاد ؟ وهل استجاب لدعوته عامة الأمة وعلمائها ؟ إن الإجابة على ذلك يوضحها حال الأمة الإسلامية فى عالمنا المعاصر ، وما تفرزه العواصم الإسلامية من خلل واضطراب فى كثير من دواوينها ومؤسساتها ، والله المستعان .

دعوة الشوكاني إلى العقيدة السلفية:

لقد دعا الشوكاني إلى الرجوع إلى عقيدة السلف ، ولكن قبل أن نتعرف على منهجه في الدعوة إلى ذلك ، ما موقفه من علماء الكلام . . ؟

هل كان له موقف واضح محدد منهم كالموقف الذي وقفه قبله الإمام مالك ؟ حيث رفض منهجهم وعاب سلوكهم، وأوصى أصحابه بالبعد عنهم قائلا: « إياكم والبدع ». قيل: يا أبا عبد الله وما البدع . . ؟ قال : « أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »^(١) .

وهل يتفق الإمام الشوكاني مع الإمام الشافعي في حكمه الذي أطلقه على علماء الكلام حيث قال : « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، وينادى عليهم : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام »^(٢) .

وأخيراً : ما رأى الشوكاني فى طرق ومناهج المتكلمين ؟

يرى الإمام الشوكاني: « أن طرق المتكلمين لا توصل إلى يقين ، ولا يمكن أن تصيب الحق فيما هدفت إليه ؛ لأن معظمها قام على أصول ظنية لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل ، والفرية على الفطرة ، فكل فريق منهم قد جعل له أصولاً تخالف ما عليه الآخر ، وقد أقام هذه الأصول على ما رآه عنده هو صحيحاً من حكم عقله الخاص المبني على نظره القاصر ، فبطل عنده ما صح عند غيره ، وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام الله ورسوله فى الإلهيات ، وما يتصل بها من العقائد ، فأصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقد الآخر ، وكل منهم يزعم أن العقل يقتضى ما يعتقد ، وحاشا العقل الصحيح السالم عن تغير ما فطره الله عليه أن يتعقل الشئ ونقيضه ، فإن اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء . فكيف تقتضى عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وعقول البعض الآخر النقيض بعد ذلك الاجتماع ؟ وما هذا الأمر إلا الغلط البحث الناشئ عن العصبية » .

ثم يقول : « ثم جعلوا هذه الأصول معياراً لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى الشئ ونقيضه ، ولم ينظروا إلى ما وصف الله به نفسه ، وما وصف به رسوله » .

ثم يقول : « وإن كنت تشك فى هذا ، فراجع كتب الكلام ، وانظر المسائل التى قد صارت عند أهلهم من المراكز ، كمسألة التحسين والتبجيل ، وخلق الأفعال وتكليف ما لا يطاق ، ومسألة خلق القرآن ، فإنك تجد ما حكيتك لك بعينه »^(٣) .

وما قاله الشوكاني فى تلك الطائفة قاله الغزالي من قبله عند وصفه لهم فى كتابه « فيصل

(١) راجع : تمهيد لتاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرازق : ص ١٥٥ ، ط . ١٩٦٦ .

(٢) راجع : تلبيس إبليس لابن الجوزي ، وصون المنطق والكلام للسيوطي ، ومقدمة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للمحقق . ط . دار اللواء : ص ٢٩ .

(٣) راجع : كتاب : كشف الشبهات : ص ٢٢ ، ٢٣ .

التفرقة بين الإسلام والزندقة : « من أشد الناس غلواً وإسرافاً طائفة من المتكلمين كفّروا عوام المسلمين وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتهم ، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم التي حرروها فهو كافر » .

فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً ، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة من المتكلمين ، ثم جهلوا ما تواتر من السنة .

ثانياً : إذا ظهر لهم في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة - رضى الله عنهم - حكمهم بإسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ، ولم يشتغلوا بعلم الدليل ، ولو اشتغلوا به لم يفهموه ، ومن ظن أن مدرك الإيمان - الكلام - والأدلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد ضيق حد الإيمان . بل الإيمان نور يقذفه الله في قلوب عباده^(١) .

ولم يكتف أبو حامد بهذا الكلام ، بل يقدم الدليل على صدق ما يقول ويتجه إلى صدر الإسلام حيث مجالس الرسول وصحابته فيقول : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاحداً منكراً له فما وقع بصره على وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا وراه يتلألاً بأنوار النبوة فنطق قائلاً : والله ما هذا بوجه كذاب . وسأله أن يعرض عليه الإسلام فأسلم .

وجاء آخر إليه عليه الصلاة والسلام ، وقال : أنشدك الله . آله بعثك نبياً ؟ قال عليه السلام : « إى والله ، الله بعثنى نبياً » فصدقه بيمينه وأسلم .

وهذه وأمثالها ، أكثر من أن تحصى ، ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الأدلة ، بل كان يبدو نور الإيمان بمثل هذه الأشياء في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد إشراقاً بمشاهدة تلك الأجوبة السديدة وتلاوة القرآن الكريم وتصفية القلوب . يقول الإمام الغزالي : « فليت شعري متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أن قالوا لمن جاءهم مسلماً : الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الأعراض ، وما لا يخلو عن الحوادث حادث ؟ »

إن ذلك لم يحدث قط ولم يتواتر عن أحد منهم ، إن علم الكلام لم يأمر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولاتناوله الصحابة من بعده حتى قال الإمام الشافعي - رضى الله عنه - ناهياً عن ذلك : « لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام »^(٢) .

والشوكاني الذي يدعو إلى عقيدة السلف أو مذهب السلف في العقيدة لا يقلد أحداً في دعوته تلك وإنما يفعل ذلك عن اقتناع بما يدعو إليه بعد معاشته للمذاهب الكلامية ، ومدارسته للمدارس الفلسفية ، وما أفرزته هذه المدارس من طلاس وألغاز فترة ليست قصيرة من عمر الزمن ، يقول الشوكاني مؤكداً هذه الحقيقة : « ولتعلم أنى لم أقل هذا تقليداً لبعض من أرشدك إلي ترك الاشتغال بهذا الفن كما وقع لجماعة من محققى العلماء ، بل قلت هذا بعد

(١) راجع : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبى حامد الغزالي تحقيق الدكتور سليمان دنيا : ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٩ ، وراجع : مقدمة الرد على الجهمية والزندقة للمحقق : ص ٣١ ، ٣٢ .

تضييع برهة من العمر فى الاشتغال به ، وإحفاء السؤال لمن يعرفه ، والأخذ عن المشهورين به ، والإكباب على مطالعة كثير مختصراته ومطولاته ، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغاية ماحصلته من مباحثى ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير
على أننى قد خضت منه غماره ولم أرتض فيه بدون التبحر (١)

وما قاله الشوكانى عن علم الكلام قاله من قبله أبو المعالى الجوينى : « لقد خليت أهل الإسلام وعلومهم الظاهرة وركبت البحر الأعظم ، وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد ، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق ». وكان يقول لأصحابه : « يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغل به ».

ويروى عن أحمد بن سنان قال : « كان الوليد بن أبان الكرايسى خالى ، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا . قال : فتهموننى ؟ قالوا : لا . قال : فإننى أوصيكم أقبّلون ؟ قالوا : نعم . قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم » (٢) .

دعوة الشوكانى إلى تطهير الاعتقاد :

جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برسالة التوحيد ، توحيد الخالق ، فلا إله إلا الله ، وتوحيد العقيدة ، فلا دين إلا الإسلام ، وتوحيد البشرية « كلكم لأدم وآدم من تراب » .

وجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحرير الوجدان البشرى ، تحريره من الخارج فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يمته أو يحيه إلا الله ، وما من أحد يملك ضرا ولا نفعا ، وما من أحد يرزقه من شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع : « وقال ربُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » (٣) ، وقال : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » (٤) .

والله وحده هو الذى يستطيع والكل سواء عبيد : « وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ » (٥) .
وإذا كان ذلك كذلك ، فلا بد من إخلاص العبادة له فلا يشرك معه غيره ، ولا يطلب الدعاء من أحد سواه ، قال تعالى : « فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٦) ، وقال أيضا : « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ

(١) راجع : التحف فى مذهب السلف : ص ٥٤ ، وكشف الشبهات : ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) راجع : تلبس إيليس لابن الجوزى : ص ٨٤ ، ٨٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦٠ / ٣ ، ومقدمة الرد على الجهمية والزنادقة للمحقق : ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) غافر : ٦٠ .

(٤) البقرة : ١٨٦ .

(٥) الانعام : ١٨ .

(٦) الجن : ١٨ .

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴿١﴾ ، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

فالخوف على الرزق لا يصدر ممن يقول : لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ (٤) .

والخوف على الجاه ، والخوف على المنصب ، والخوف على الوظيفة ليس داخلاً في دائرة لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) ، وقال أيضاً : ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (٦) .

هذا هو المعتقد الذي دان به المسلمون الأول ، دانوا بكلمة التوحيد ، كلمة لا إله إلا الله ، آمنوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ورفضوا كل الألوهية المزيفة التي كانت تعبد في الجاهلية الأولى كالشمس والقمر ، والكواكب والنجوم والجن والبشر ، والأوثان والأصنام ، عندها خرجوا إلى الدنيا والظلام شامل والجهل حاكم والعقائد زيف وأباطيل ، فمدنوا الدنيا ، وهذبوا العالم ، وقرروا أن لا إله إلا الله .

وجاء الشوكاني فوجد المجتمع الإسلامي في عصره يقترب من الجاهلية الأولى عن طريق :

أولاً : الشرك الخفى :

الذى يتمثل في رفع القباب وتخصيص القبور ، والاعتقاد أن أصحابها بيدهم النفع والضرر والإحياء ، والإماتة ، وأن التقرب إلى هؤلاء الأموات وتقديم القرابين إليهم من الدين الحق الذى أمر به الإسلام ، متجاهلين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » (٧) .

وأيضاً الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على - رضى الله عنه - : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته (٨) . وأيضاً ما جاء فى الصحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٩) ، قال : هذه أسماء رجال من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يعبدوا حتى إذا هلكوا ونسى العلم عبدت . وقال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم (١٠) .

(١) الرعد : ١٤ . (٢) إبراهيم : ١١ . (٣) الذاريات : ٢٢ .

(٤) التوبة : ٢٨ . (٥) آل عمران : ٢٦ . (٦) المؤمنون : ٨٨ .

(٧) رواه الإمام البخارى فى صحيحه . (٨) رواه الإمام مسلم فى صحيحه . (٩) نوح : ٢٣ .

(١٠) راجع : الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد : ص ١١ ، والدرارى المضية للشوكاني ١ / ٢٤٨ .

ثانياً: أدعياء التصوف :

وأدعياء التصوف لهم دور كبير فى تعطيل شرع الله وإيهامهم العامة أن الإنسان إذا وصل إلى درجة من الصفاء سقطت عنه التكاليف الشرعية ، وهؤلاء أخطر الأبالسة على شرع الله ؛ لأن الإمام الجنيد - رأس الطائفة المتصوفة - يقول : « إذا رأيت الرجل يطير فى الهواء ويمشى على الماء ولا يؤدى التكاليف الشرعية فهو شيطان رجيم » (١) .

ويطيب لنا أن نسوق رأى الإمام الغزالى فى قوم أرادوا أن يتركوا التكاليف الشرعية من صلاة وصيام بحجة أنهم وصلوا إلى درجة الصفاء والطهر وليسوا معه فى حاجة إلى إقامة التكاليف .

يقول الإمام الغزالى : ومثل هذا الرجل المنخدع بهذا الظن مثل رجل بنى له أبوه قصراً على رأس جبل ، ووضع فيه شجرة من خشب طيب الرائحة ، وأكد الوصية على ولده مرة بعد أخرى ألا يدخل هذا القصر من هذا الخشب طول عمره ، وقال : إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار إلا وهذا الخشب فيه . فزرع الولد حول القصر أنواعاً من الرياحين وطلب من البر والبحر أوتاداً من العود والعنبر والمسك وجمع فى قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة ، فانغمرت رائحة الخشب لما فاحت هذه الروائح فقال : لا شك أن والدى ما أوصانى بحفظ هذا الخشب إلا لطيب رائحته . والآن قد استغنيا بهذه الرياحين عن رائحته فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق على المكان فرماه من القصر .

فلما خلا القصر من الخشب ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة وضربته ضربة أشرف بها على الهلاك فتنبه حيث لم ينفعه التنبيه أن الخشب كان من خاصته دفع هذه الحية المهلكة ، وكان لأبيه بالوصية بالرياحين غرضان : إحداهما : انتفاع الولد برائحته ، وذلك قد أدركه الولد بعقله . والثانى : اندفاع الحيات المهلكات برائحته . وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد ، فاغتر الولد بما عنده من العلم ، وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (٣) .

والغرور : من اغتر بعقله فظن أن ما هو منتف عن علمه فهو منتف فى نفسه . ولقد قال العلماء : « إن قلب آدمى كذلك القصر ، وأنه معشعش حيات وعقارب مهلكات ، وإنما رقيتها وقيدها بطرق خاصة هى المكتوبات والمشروعات بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (٤) كتاباً موقوتاً على المؤمنين فى كل عصر ومصر ، وكتاباً موقوتاً على الأمة الإسلامية ، وكتاباً موقوتاً على المجتمع فلا يشذ عن هذه القاعدة أحد ، يقول الرسول صلى الله

(١) راجع : الرسالة القشيرية تحقيق د : عبد الحليم محمود .

(٢) غافر : ٨٣ .

(٣) النساء : ١٠٣ .

(٤) النجم : ٣٠ .

عليه وآله وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » (١) .
ثم ماذا . . ؟

يرى الإمام الشوكانى أن العمل بكلمة التوحيد والقيام بتكاليفها على الوجه الأكمل هو العامل الأول فى نهضة المسلمين وعودهم إلى عزهم ومجدهم فنراه يقول : « إن التزام المسلم بكلمة التوحيد هو الطريق إلى أداء العبادات ، ثم أداء الأعمال اليومية على وجهها بمراقبة الله فيها ، وأن المجتمع لا يمكن أن يستفيد من إيمانه وإسلامه فى حياته الاجتماعية أو الاقتصادية والسياسية إلا إذا كانت هذه الشهادة خالصة من مظاهر الشرك ، فهنا يمكن أن ينتفع الإنسان من هذه الشهادة ديناً ودنياً ، وأنه ما أضر المسلمين ، وقعد بهم عن الاستمرار فى نهضتهم وعزتهم إلا تحريف هذه الشهادة ، وحيلولة مظاهر الشرك بينها وبين حلولها فى القلب . أو حلولها ولكن بزيغ وتشويه ، وأن هذه هى ملة المسلمين اليوم ، والتى وراء كل جمود وتأخر وذلة » (٢) .

فهل وصلت هذه الصيحة التى أطلقها الشوكانى إلى قلوب المسلمين، وهل عملوا بما فيها ، أم أنهم لا يزالون يعيشون فى سبات عميق ، ويلفهم ليل ليس له آخر . . ؟ إن هذا الواقع المر الذى يمر به المسلمون فى عالمنا المعاصر يكذب أنهم سمعوا صوتاً أو وعوا قولاً .

(١) رواه الترمذى فى الإيمان (٢٦٢١) والنسائى فى الصلاة (٤٦٣) وأحمد فى المسند ٣٤٦/٥ كلهم عن بريدة الأسلمى .

(٢) راجع : رسالة الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل : ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ومابعدا نقلاً عن كتاب ولاية الله والطريق إليها .

قيام الشوكاني بالتدريس والإفتاء وتوليه منصب القضاء

أ - التدريس :

يندر أن يوجد عالم من علماء المسلمين لم يشتغل بالتدريس ولم تكن له حلقة ، يلتف الطلاب حوله ، يستمعون ويسجلون عليه ما يلقيه عليهم ، وما يفيض الله تعالى عليه من فتوح .

والشوكاني أحد العلماء النجباء الذي بدأ التدريس مبكراً ، بدأه مع لداته وأترابه ، فكان إذا ذهب إلى أحد العلماء - وسمع منه علماً أو قرأ عليه كتاباً أو وضع له مسألة غامضة - عاد إلى هؤلاء التلاميذ ، شارحاً لهم ما سمعه ، قارئاً عليهم ما عرفه ، واقفاً بينهم أو جالساً بين أيديهم يشنف آذانهم بعلمه ، ويصقل عقولهم بمعرفته .

ولقد عرف أترابه وزملاء الحلقة منه ذلك ، فكانوا يتابعونه في حله وترحاله ، في ظعنه وإقامته ، حتى كبرت حلفته ، وتجمع فيها صفوة من طلاب العلم وعشاق المعرفة ، وعندما رأى الشوكاني ذلك ، تفرغ لهذه الحلقة قارئاً لهم الكتب وشارحاً ما يغلق منها . ومضيفاً إليه ما يجب أن يضيفه وما يفتح الله به عليه .

يقول الدكتور إبراهيم هلال : « وكان في أثناء دراسته يلقي ما يأخذه من مشايخه إلى تلاميذه الذين اجتمعوا عليه وهو لا يزال في دور الطلب الأول ، ولذلك كانت دروسه تبلغ في اليوم واللييلة ثلاثة عشر درساً منها ما يأخذه عن أساتذته ، ومنها ما يلقيه على تلاميذه ثم تفرغ لإفادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس - كما قال - في فنون متعددة كال تفسير ، والحديث ، والأصول ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق » (١) .

ب - الفتوى :

إن للفتوى شروطاً وقواعد ، ولا يتقدم للفتوى إلا من بلغ شأواً بعيداً في علوم الشرع ، هذا بالإضافة إلى معرفته بتفسير القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وغير ذلك من الشروط والقواعد التي اشترطها العلماء في وظيفة المفتي والتي تتطلب في مظانها .

ولقد قام الشوكاني بوظيفة الإفتاء في سن مبكرة وتصدر لها وهو في نحو العشرين من عمره ، ويقال بأن الفتاوى كانت ترد عليه من خارج صنعاء وشيوخه وأساتذته لا زالوا أحياء ، ولكن الإفتاء في هذه المرحلة المبكرة من عمره كان مقصوراً عليه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علمه ، وتمكنه من علوم الشريعة ، وما رزقه الله تعالى من موهبة بز بها الأقران وتفوق بها على علماء عصره .

(١) راجع : مقدمة ولاية الله : ص ٤ .

جـ - توليه القضاء :

كيف تولى الشوكاني وظيفة القضاء فى اليمن ؟

أسعى إلى ذلك سعيًا حثيثًا حتى كلل مسعاه بالنجاح ؟ أم أن ذلك كان قضاء وقدرًا ؟ أم أن الأسرة الحاكمة فى اليمن أرادت أن تستر وراء شهرته الدينية ، وأن يشغلوا الناس بالآراء التى ينادى بها ؟

يقول الشوكاني - معبراً عن الطريقة التى تولى بها منصب القضاء فى اليمن - : «وكنيت إذ ذاك مشتغلاً فى علوم الاجتهاد والإفتاء، والتصنيف، مجتمعاً عن الناس لاسيما ولاية الأمور وأرباب الدولة فإننى لا أتصل بأحد منهم كائناً من كان، فلم أشعر إلا بطلاب الخليفة بعد موت القاضى يحيى بن صالح الشجرى السحولى بأسبوع يطالبوننى بتولى منصب القضاء، فترددت لفترة طويلة ثم تلقيت إلحاحاً من كبار العلماء والأعيان ، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة وأنهم يخشون أن يدخل هذا المنصب من لا يوثق بدينه وعلمه فقبلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه» (١) .

إن هذا العالم الجليل الذى ملأت شهرته الآفاق ووهب نفسه للدعوة إلى الاجتهاد وتصحيح العقيدة الإسلامية فى قلوب أصحابها والتى أدخلوا عليها الكثير من الترهات والأباطيل ، وشرع قلمه لتجسير الرسائل وتأليف المصنفات . كيف سمحت له نفسه أن يترك موقعه هذا فى التوجيه والإرشاد ، فى التصحيح والتعديل إلى منصب القضاء ؟

إن تلامذة الشوكاني والمحبين له يبررون قبوله لهذا المنصب لعدة أسباب من أهمها :

١- أن الشوكاني رأى فى منصب القضاء فرصة أكبر لنشر السنة وإماتة البدعة ، والدعوة إلى منهج السلف الصالح .

٢- أن منصب القضاء قد يقلل من الحرب المشنة عليه من التيارات المعادية والتى أوشكت أن تشل حركته تماماً .

٣- أن للسلطان قوة وجبروتاً ، وقد طلب منه هذا الطلب لمنفعة السلطة والحكم ، وقد يكون لرفضه نتائج لاتحمد عقبائها .

هذه أهم المبررات التى حدث بالشوكاني إلى قبول منصب القضاء ، بالإضافة إلى أن منصب القضاء يعد مكسباً كبيراً لطلاب الحق والعدل ، وهذا ما فعله الشوكاني طوال توليه هذه الوظيفة ، فقد أقام بنود العدل ، وأنصف المظلومين ، وأبعد الرشوة ، وخفف من غلواء الولاية تجاه الرعية .

ولقد طالت مدة توليه القضاء حتى شملت حياة ثلاثة من الأئمة، أولهم : المنصور على بن المهدي عباس (ت ١٢٢٤هـ) ، وثانيهم : ابنه المتوكل على بن أحمد بن المنصور (ت ١٢٣١هـ) ،

وثالثهم : المهدي عبد الله بن عبد الله بن المتوكل (ت ١٢٥١هـ).

وفاة الشوكاني :

ثم ماذا ؟ لكل بداية نهاية ، ولكل أجل كتاب ، فقد آن لشمس هذا العالم الجليل أن تغرب ولنجمه أن يأفل ، وهذه سنة الله تعالى في خلقه ، ولقد صدق ربي في قوله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٢) .

ففي عام ١٢٥٠هـ جاءه أجله ، وفارقت روحه جسده ، وفقد العالم الإسلامي بفقده عالماً عاملاً أدى ما عليه من أمانة تجاه ربه ودينه ، تغمدته الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من علم وفضل للإسلام والمسلمين .

شيوخ الشوكاني وتلاميذه

أ - شيوخ الشوكاني :

كان من نعم الله - سبحانه وتعالى - على الأمة الإسلامية التي وسمها الله تعالى في كتابه بأنها خير أمة أخرجت للناس، أن رزقها بعدد يفوق الحصر والعدد من العلماء الأتقياء ، العاملين الأوفياء ، الذين استجابوا لدعوة الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾^(١) . فنفروا إلى العلم ، وهاجروا في أربعة أركان الأرض باحثين ومنقبين عن فقه الدين وقواعد الشرع ، طالين ذلك في مظانه وأماكنه حيث الحرم المكي والمدني وبخارى وسمرقند ، والأزهر الشريف والجامع الأموي في دمشق ، وجامع الزيتونة والقيروان ، وغير ذلك من بيوت الله والتي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وكانت دائما تعج بطلاب العلم وعمالقة العلماء .

وكان يخفف متاعب السفر عن كبيرهم، ووعثاء الطريق عن ضعيفهم، ويطوى المسافات البعيدة تحت أقدامهم ما وعوه من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الذي رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلكت الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطلاب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»^(٢) .

والشوكاني حباه الله - سبحانه وتعالى - بعدد وفير من هؤلاء العلماء الذين نصبوا أنفسهم للعلم ووهبوا حياتهم له . ومن هؤلاء العلماء :

١- أحمد بن عامر الحدادى : الفقيه الفرضى ، عالم عصره ، قرأ عليه الشوكاني بعض الشروح فى الفقه والفرائض . وكان معروفاً بالصدق والأمانة والزهد والإخلاص فى الدين ، توفى عام ١١٩٧هـ .

٢- إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن : كان يسمى « سيبويه » عصره ، برع فى اللغة العربية صرفها ونحوها ، أثنى عليه الشوكاني ، وقرأ عليه الكثير من المطولات ، توفى عام ١٢٠٦هـ .

٣- أحمد بن الحرازى : شيخ الفروع وأستاذ الفقه والأصول ، لازمه الشوكاني فى الفقه ثلاث عشرة سنة، وقرأ عليه الفرائض أيضاً ، كان فقيهاً فى علمه ، متواضعاً مع غيره

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، وراجع : تفسير القرطبى ٢٩٦/٨ .

(١) التوبة : ١٢٢ .

- مستظهِراً لكتاب ربه يمتاز بالأممية والذكاء ورجاحة العقل ، توفي عام ١٢٢٧هـ .
- ٤- صديق بن علي المزرجاجي الحنفى : شيخ الشوكانى بالإجازة فى الحديث وغيره ، قرأ وتفقه فى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار علماً فى هذا الفن وحجة فى علوم الحديث ، توفي عام ١٢٠٩هـ .
- ٥- عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر : من سلالة الإمام المهدي أحمد بن يحيى ، محدث مجتهد من علماء الزيدية باليمن ، ولد عام ١١٣٥هـ ووفاته عام ١٢٠٧هـ بصنعاء ، ونشأ بكوكبان وإليها نسبته وتنقل فى اليمن ، وسافر إلى مكة والمدينة ، وأخذ من علماء كل بلد ، واستقر فى كوكبان زمناً ، وهو أستاذ الشوكانى ، وقد بالغ فى الثناء عليه ، له كتب منها : مسند فى أسماء شيوخه ، وشرح نزهة الطرف للأخفش الصنعائى ، وفلك القاموس مدخل له ، وحواشى على ضوء النهار ، ورسالة فى تحقيق بعض العقاقير الطبية وله نظم^(١) .
- ٦- عبد الله بن إسماعيل النهى : لازمه الشوكانى فترة ، وقرأ عليه بعض المؤلفات فى النحو والصرف ، والمنطق والحديث والأصول . وصفه الشوكانى بالكرم وحسن الخلق ، ولكن ما لبث أن اختلف التلميذ وأستاذه وباعدت بينهما الآراء والأفكار ، فكان من جملة الذين هاجموا الشوكانى وأعلن الحرب عليه ، توفي عام ١٢٢٨هـ .
- ٧- على بن إبراهيم بن على بن عامر : وصفه الشوكانى بقوله : كان إماماً فى جميع العلوم ، محققاً ومدققاً لكل فن منها ، فيه سكية العباد ، ووقار العلماء ، وتبتل من ينطبق عليهم ورثة الأنبياء ، قرأ عليه الشوكانى صحيح البخارى وبعض السنن ، توفي عام ١٢٠٧هـ .
- ٨- يحيى بن محمد الخوتى : كان عالماً فى أكثر من علم وفن وتعدى علوم الشرع إلى بعض الفنون الأخرى ، ودرس عليه الشوكانى : الفرائض والحساب ، والضرب والمساحة قال عنه الشوكانى : فاق فى ذلك أهل عصره وتفرد به ولم يشاركه فى ذلك أحد ، توفي عام ١٢٤٧هـ .
- ولا نستطيع فى هذه العجالة أن نلم بكل مشايخ الشوكانى وأساتذته ، فهم كثير ، ولقد لازم بعضهم — كما ذكرنا سابقاً — أكثر من ثلاث عشرة سنة ، ولا شك أن للشيخ دوره الكبير فى تكوين عقلية الطالب ، ودفعه إلى الانتقالية ، وتكوين رأى ، وهذا ما جعل الشوكانى عالم عصره ، وأستاذ جيله الذى نبذ التقليد ورفع على أصحابه معول الهدم ، ودعا إلى الاجتهاد مقررراً ومؤكداً أن الإسلام صالح لكل عصر ومصر ؛ لأن سزله هو الذى خلق فسوى ، والعالم بمطالبات خلقه ، الخبير بخلجات نفوسهم وبكل ذرة من ذرات كيانه ، وبما يصلحهم فى دينهم ودنياهم ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٢) .

(٢) الملك : ١٤ .

(١) راجع : البدر الطالع ١/ ٣٦٠ - ٣٦٨ ، ونيل الوطر ٢/ ٤٤ .

ب - تلاميذ الشوكاني :

كما أن النحلة الدؤوب ، التي تلف على الأزهار اليانعة والورود المتفتحة لتمتص الرحيق وتذوبه في داخلها لتخرجه إلى الناس عسلاً صافياً وشهداً هائلاً ، فكذلك العلماء الذين خاضوا في بحار المعرفة ، وعاشوا بين طيات المراجع والملفات ووعوا كتاب ربهم ، وأخذوا نفوسهم بحديث نبهم ، لا شك أنهم يخرجون في النهاية عسلاً وشهداً .

عسلاً يتمثل في تلاميذهم وطلابهم ، وشهداً تحويه كتبهم ومؤلفاتهم ، ولقد كان للشوكاني الأعداد الكبيرة من الطلاب ، الذين جلسوا بين يديه وأخذوا من علمه ومن فقهه الشيء الكثير ، والبعض الآخر تتلمذ على كتبه وعكف على مؤلفاته حتى أصبح من العلماء الأجلاء الذين أثروا الحياة الفكرية وأضافوا الجديد إلى المكتبة الإسلامية ، ومن هؤلاء التلاميذ الذين نهلوا من فيض علمه :

١- محمد بن حسن الشجني الذماري القاضي : سمع من شيخه الشوكاني ودرس عليه ، وأجازه ، إجازة عامة في رجب سنة ١٢٣٩هـ ، ويعتبر من أوائل الذين ترجموا للشوكاني في كتابه : « التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار » وقسم هذا الكتاب ثلاثة أقسام : الأول : في ذكر ولادة شيخه الشوكاني ونشأته وطلبه العلم وخصاله وذكر مؤلفاته وبعض رسائله ونظمه .

الثاني : في تراجم مشايخه ومن تلقى عليهم العلم .

الثالث : في تراجم تلامذته وطلابه .

ويقال : كان شاعراً أديباً بليغاً ، ووصفه بعضهم بقوله : فهو الفرد الكامل ، والعماد الفاضل ، بل ألفت إليه البلاغة زمامها ، توفي سنة ١٢٨٦هـ (١) .

٢- السيد محمد بن محمد زيادة الحسني اليمنى الصنعاني : صاحب كتاب « نيل الوطر » من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، ساهم مساهمة فعالة في نشر بعض مؤلفات الشوكاني في مصر وفي غيرها من البلاد الإسلامية . ويعتبر من الجيل الثاني من تلاميذ الشوكاني ، توفي عام ١٣٨١هـ .

٣- أحمد بن عبد الله الضمدي : ولد عام ١١٧٤هـ نسبة إلى بلدة « ضمد » جلس إلى الشوكاني وأخذ منه ، وانتقل إلى شيوخ غيره ، ولكن صلته بالشوكاني كانت أكثر . ثم عاد إلى بلده ، وأصبح المرجع لأهلها في التدريس والإفتاء ، وتسامع الناس به فجاءته الوفود من البلاد المجاورة . وله أسئلة عديدة إلى أستاذه الشوكاني أجاب له عنها في رسالة سماها « العقد المنضد » ، وتوفي عام ١٢٢٢هـ (٢) .

٤- على بن أحمد : هاجر الصنعاني ، ولد قريباً من سنة ١١٨٠هـ ، وقد تبحر في العلوم العقلية وأتقنها ودرس على أستاذه الشوكاني علم المنطق وغيره . قال الشوكاني : بعد أن أخذ عنه علم المنطق ، وهو يفهمه فهماً بديعاً ويتقنه إتقاناً عجبياً . ثم قال : قل أن يوجد نظيره مع صلابة في الدين . . ، توفي عام ١٢٣٥هـ .

٥ - أحمد بن محمد الشوكاني : ولد في سنة ١٢٢٩هـ ، وانقطع للاشتغال بمؤلفات والده ، حتى جاز من العلم السهم الوافر ، وانتفع به عدة من الأكابر ، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء وله مؤلفات جيدة ومفيدة ، وكان يعد أكبر علماء اليمن بعد والده ، توفي سنة ١٢٨١هـ (١) .

٦- الحسن بن محمد السحولي : حاكم تعز ، ولد سنة ١١٩٠هـ وتوفي سنة ١٢٢٤هـ . قرأ على الشوكاني الحديث والفقه ، وبعض مؤلفاته في العربية والأصول . ووصفه بلطف الشمائل ورقة الطبع وكرم الأخلاق (٢) .

٧- الحسين بن محمد العنسي : ولد سنة ١١٨٨هـ وتوفي سنة ١٢٣٥هـ ، قرأ على الشوكاني في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول وبعض مؤلفاته ، وقد وصفه الشوكاني بأنه قليل النظر في فهم الدقائق وحسن التصور ، وقوة الإدراك (٣) .

٨ - سيف بن موسى بن جعفر البحراني : وفد إلى صنعاء في محرم سنة ١٢٣٤هـ ، وغادرها في شوال سنة ١٢٣٤هـ ، وقد قرأ على الشوكاني في الفقه والحديث والتفسير والأصول وعلم الكلام والحكمة والإلهيات (٤) .

ونكتفي بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني لأنهم أعداد كثيرة ، وقد استطاع الإمام الشوكاني أن يجمع العدد الكبير منهم في كتابه (الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام) .

لقد كان الشوكاني صاحب مذهب ومفكراً ألعيا ، نبذ التقليد ودعا إلى الاجتهاد ، وكان الأمة الإسلامية بعامة ، ورجال العقيدة والشريعة بخاصة كانوا في انتظار العالم الجريء الذي ينادى بهذه الدعوة ، وما كاد الشوكاني يعلن دعوته حتى كان له مآدح وقادح ، ولكن ما كان أكثر المادحين وأقل القادحين لهذه الدعوة المباركة ، الأمر الذي جعلها تنتشر في كثير من بلاد المسلمين ، وخصوصاً في باكستان والهند على يد تلميذه الشيخ عبد الحق بن فضل الهندي وأيضاً تلميذه المتحمس لدعوته السيد محمد صديق حسن خان أمير مملكة (بهوبال) بالهند .

وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على مؤلفات الإمام الشوكاني .

(١) راجع : نيل الوطر / ١ / ٢١٥ .

(٢) راجع نيل الوطر / ١ / ٣٥٤ ، والتقصير : ص ١١٠ .

(٣) البدر الطالع / ١ / ٢٦٩ ، ونيل الوطر / ١ / ٣٨٣ ، والتقصير : ص ١١٠ .

(٤) البدر الطالع / ١ / ٢٣٧ ، ونيل الوطر / ١ / ٤٠٥ ، والتقصير : ص ١١٠ .

مؤلفات الإمام الشوكاني

قلنا فى كلمة سابقة : إن العلماء العاملين لدينهم ، تراهم كالنحلة الدؤوب ، تنتقل من زهرة إلى زهرة ، ومن وردة إلى غصن ، تمتص الرحيق لتخرجه فى النهاية عسلًا وشهدًا ، عسلًا يتمثل فى طلابهم الذين يحملون الرسالة من بعدهم ، وشهدًا يتمثل فى كتبهم ومؤلفاتهم التى أخرجوها لتكون زادًا لطلاب العلم والمعرفة من بعدهم ، وضياء يضىء لهم الطريق ، يرشدهم إلى ما يصلحهم فى دينهم ودنياهم .

والإمام الشوكاني - رحمه الله - قدم للمكتبة الإسلامية زادًا زاخرًا وعلمًا نافعًا ، ومؤلفات تربو عن الحصر والعد ، ولم تكن هذه المؤلفات فى فن واحد من فنون المعرفة أو علم واحد من علوم الشرع ، ولكنه كان نتاجًا شاملاً تناول أكثر المعارف فى عصره ، والفاحص لهذه المؤلفات يجد أنه تناول فيها :

قضايا التوحيد ، وناقش علماء الكلام ، وهدم الكثير من قواعدهم وأدلتهم ودعاهم إلى نبذ الخلافات والعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى تتخلص كتب العقائد من طلاسهم وألغازهم .

ثم كتب فى الحديث وعلومه ، وكان كتابه العظيم « نيل الأوطار » خير شاهد على تمكنه فى هذا العلم ، والذى أسهب فى شرح سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وجلاها فى صورة واضحة بينة ، ودعا المسلمين إلى الاهتمام بها ؛ لأنها من كلام خاتم المرسلين الذى لا ينطق عن الهوى ، ولأنها المفسرة لكتاب الله تعالى ؛ لقوله عليه السلام : « أعطيت القرآن ومثله معه » .

وعندما وجد الشوكاني الخلافات بين الفقهاء فى عصره لا تقف عند حد دعاهم إلى نبذ الخلافات وأمرهم بالاجتهاد حتى لا يتوقف شرع الله تعالى ، ولأن لكل عصر ظروفه ودواعيه ، وحتى لا تكون دعوته دعوة ثائر فقط أو مقولة كاتب فحسب نراه فتح الطريق إلى الاجتهاد بكتابه القيم « السيل الجرار على حدائق الأزهار »^(١) وغيره من المؤلفات ، وكأن هذا الكتاب كان إشارة البدء لغيره من العلماء بالاجتهاد وتقديم الصورة المثلى لفقه الإسلام وشرعه الذى أنزله الله تعالى ليكون للبشرية هادياً فى كل عصر ومصر .

ثم وضع الأسس والقواعد لمنطق إسلامى فى كتابه القيم « أمانة المتسوق فى تحقيق علم المنطق » ، ناهجاً فيه نهج أستاذه ابن تيمية فى كتابيه « نقض المنطق » و« الرد على المنطقيين » . ثم كانت له مؤلفات كثيرة ورسائل عديدة فى فن البلاغة وعلم الاشتقاق .

(١) تم طبع هذا الكتاب عن طريق المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ، وتوجد نسخة مخطوطة بمكتبة صنعاء بخط الشوكاني ، انتهى منها سنة ١٢٣٥ هـ .

ثم كان مؤلفه العظيم في التفسير « فتح القدير » الذي نحن بصدد الحديث عنه ، ويطيب لنا أن نقدم في هذه المقدمة ثبثاً ببعض كتبه المخطوط منها والمطبوع وعلى الله قصد السبيل .
أولاً: الكتب المخطوطة :

١- التفسير :

- ١- بحث في الرد على الزمخشري في استحسان بيت المرية في سورة « سبحان » (١) .
- ٢- البحث الملم المتعلق بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ (٢) .
- ٣- بحث في شرح قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنَلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (٣) .
- ٤- مطلع البدرين ومجمع البحرين في التفسير ، وهو أصل فتح القدير في ستة مجلدات كبار (٤) .
- ٥- النشر في فوائد سورة العصر (٥) .

٢- الحديث :

- ١ - الأبحاث الوضعية في الكلام على حديث : « الدنيا رأس كل خطية » (٦) .
- ٢ - إتحاف المهرة على حديث : « لاعدوى ولا طيرة » (٧) .
- ٣ - بحث فيما اشتهر على ألسن الناس : « أنه لا عهد لظالم » (٨) .
- ٤ - بحث في حديث : « إنما الأعمال بالنيات » (٩) .
- ٥ - بحث في حديث : « فدين الله أحق أن يقضى » (١٠) .
- ٦ - بحث في حديث : « الصوم لى وأنا أجزى به » (١١) .
- ٧ - بحث في الكلام على حديث : « إذا اجتهد المجتهد فأصاب ... » إلخ (١٢) .
- ٨ - بحث في شرح حديث : « بنى الإسلام على خمس » (١٣) .
- ٩ - بحث في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها » (١٤) .
- ١٠ - بحث في مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين الصحابة (١٥) .
- ١١ - رفع الباس عن حديث : النفس والهيم والسواس .

-
- (١) رقم ٨٣ مجموع ٥٠ متوكلية .
(٢) النساء : ١٤٨ .
(٣) الأنعام : ١٥١ .
(٤) راجع : ولاية الله : ص ٥١ .
(٥) البدر الطالع ٢٢١/٢ .
(٦) يقال : بأن هذا الكتاب طبع في النهضة المصرية .
(٧) مكتبة الجامع بصنعاء رقم : ٤ من مجاميع المتوكلية .
(٨) الفتح الرباني ٣٨ .
(٩) الفتح رقم ٥٩/٩ من مجاميع متوكلية .
(١٠) راجع : البدر الطالع ٢٢٣/٢ .
(١١) راجع : التقصار : ص ٢٣ .
(١٢) الفتح الرباني رقم (١) الجامع المقدسى .
(١٣) الفتح الرباني رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدسى .
(١٤) رقم ٥٠ متوكلية .
(١٥) رقم ٣١ من مجاميع المتوكلية ٥٩ .

- ١٢- القول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول .
- ١٣- نثر الجوهر في شرح حديث أبي ذر .
- ١٤- نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى على شرحه نيل الأوطار .
- ١٥- كشف الدين عن حديث ذي اليدين .
- ٣- العقيدة :
- ١- الإثبات في التقاء أرواح الأحياء والأموات (١) .
- ٢ - الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح (٢) .
- ٣ - بحث في الاستدلال على كرامات الأولياء (٣) .
- ٤ - بحث في التصوير . وقد بين فيه المؤلف عدم جوازه مطلقاً ضمن مجموع ٨٣ .
- ٥ - بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي القضاء (٤) ، وهو بحث يقع في ست صفحات تقريباً
يثبت فيه المؤلف أن كون الله تعالى أمرنا بدعائه وأن الرسول حبيبنا في الدعاء : لا ينافي
هذا مع سبق القضاء من الله سبحانه فإنه من الممكن أن يحو الله ما يشاء ويثبت بناء على
الدعاء .
- ٦ - بحث في الكلام على الذكر والجهر به . مجموع ٨٣ مجاميع الجامع المقدسى بصنعاء .
- ٧ - بحث في حال الأموات في البرزخ (٥) .
- ٨ - بحث في الرد على من قال : إن علوم الناس تسلب عنهم في الجنة .
- ٩ - بحث في مستقر الأرواح بعد الموت . رقم ٣٧ من مجموع ٥٩ ستوكية .
- ١٠ - بحث في وجوب محبة الله . رقم ٣٢ مجاميع متوكية (٦) .
- ١١- البغية في مسألة الرؤية (٧) (أي رؤية الله تعالى) ، أثبت فيه إمكان رؤية الله في الآخرة ،
ورد فيه على المعتزلة الذين أنكروا ذلك .
- ١٢- تنبيه الأفاضل على ماورد في زيادة العمر ونقصه من الدلائل (٨) أثبت فيها أن العمر يزيد
وينقص ثم بين المراد من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

(١) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٢٢ من الفتح الرباني مجاميع المتوكية .
(٢) في عشر صفحات ضمن مجاميع المتوكية رقم ٥٩ وهي تدور حول المراد من توبة الذين يرمون المحصنات ،
وهو جواب عن سؤال من تلميذه لطف الله بن أحمد جحاف .
(٣) رقم ٤٠ من مجموع ٥٩ متوكية وذكره في تفسير فتح القدير سورة الجن : آية رقم ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) رقم ٤١ من مجاميع ٥٩ وذكره في ولاية الله . (٥) الفتح الرباني رقم ١ مجاميع .
(٦) ط . دار النهضة سنة ١٣٩٦ هـ وتوجد نسخة مخطوطة رقم ٣٢ من مجاميع ٥٩ .
(٧) راجع : تفسير فتح القدير سورة القيامة : آية رقم ٢٣ .
(٨) ضمن مجموع ٥٩ .

يَسْتَقْدُمُونَ ﴿١﴾

- ١٣- التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح (١).
- ١٤- جواب سؤال عن الصبر والحلم (٢). وهو رد على سؤال من السيد العلامة إبراهيم بن محمد بن إسحاق قد وجهه إلى المؤلف بقوله: (هل الصبر والحلم متلازمان ؟).
- ١٥- رسالة في توحيد الله - عز وجل - (٣).
- ١٦- كشف الأستار في إبطال كلام من قال بفناء النار .
- ١٧- المختصر البديع في الخلق الوسيط ذكر خلق السموات والأرض وما فوقهما وما دونهما والجن والإنس والملائكة والعوالم أجمع (٤).
- ١٨- العذب النмир في جواب عالم عسير في التوحيد وفاتحة الكتاب (٥).
- ١٩- المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على الدار الآخرة (٦).
- ٢٠- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (٧).
- ٤- الفقه :

- ١- الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة .
- ٢- إشراق الطلعة في عدم الاعتداد بالركعة من الجمعة .
- ٣- إشراق النيرين في بيان الحكم إذا تخلف أحد الخصمين .
- ٤- اطلاع أرباب ذوى الكمال على ما في رسالة الجلال من الاختلال .
- ٥- إقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلاً على جواز الوصية للوارث .
- ٦- إيضاح الدلالات لأحكام الخيارات .
- ٧- إيضاح الدلائل على ما يجوز بين الإمام والمأموم من الحائل .
- ٨ - بحث في بيع المشاع من غير تعيين .
- ٩ - بحث في بيع وقف الذرية .

(١) ضمن مجموع ٥٩ .

(٢) رقم ٢٥ ضمن مجموع ٥٩ ومجموع ٣٢ الجامع بصنعاء .

(٣) الفتح الرباني رقم ١ من مجاميع ١٨٣ الجامع المقدسى بصنعاء .

(٤) البدر الطالع ٢ / ٢٢٠ . (٥) ولاية الله : ص ٤٨ .

(٦) تم طبع هذه الرسالة .

(٧) نسخة بخط المؤلف مجموع رقم ٥٩ مجاميع المتوكلية جامع صنعاء، وقد دار هذا المؤلف حول اتحاد الشرائع

السمائية كلها في أمور ثلاثة: توحيد الله وإثبات النبوات، وتصديق بعضها بعضاً، وإثبات البعث الحسى،

وقد رد بهذا على (موسى بن ميمون) اليهودى الأندلسى فى إنكاره لعلم الله بالجزئيات ونفيه للذة الجسمانية

وقوله بالبعث الروحى فقط . وهو يقع فى ثمان وخمسين صفحة تقريباً وقد انتهى من تأليفه سنة ١٢٣١ هـ .

راجع : قطر الولى تحقيق د . إبراهيم هلال .

- ١٠- بحث فى سؤال يتعلق بالصلاة .
- ١١- بحث فى السجود المنفرد .
- ١٢- بحث فى تحريم الزكاة على الهاشمى .
- ١٣- بحث فى امتناع الزوجة حتى يسمى المهر .
- ١٤- بحث فى نجاسة الدم من الخيل ومن بنى آدم .
- ١٥- بحث فى الربا .
- ١٦- الأبحاث الحسان المتعلقة بالعارية والشركة والتأجير والرهن .
- ١٧- بحث فى الطلاق المشروط .
- ١٨- بحث فىمن وقف على أولاده دون زوجته .
- ١٩- الأبحاث الوفية فى الشركة العربية .
- ٢٠- بحث فى رضاع الكبير هل يقتضى التحريم أو لا ؟
- ٢١- بحث فى العين المسروقة إذا وجدها المالك .
- ٢٢- بحث فى إخراج أجرة الحاج من رأس المال ولم يجزه إلا إذا تبرع الورثة .
- ٢٣- بحث فى قاذف الرجل وما عليه من الحد .
- ٢٤- بحث فى مسائل الوصايا التى يترتب عليها الضرر .
- ٢٥- بحث فى نقض الحكم إذا لم يوافق الحق .
- ٢٦- بحث فى صلاة السفر وهو جواب عن سؤال .
- ٢٧- بحث فى وجوب الإمساك إذا دخل رمضان ولم يعلموا ذلك إلا نهاراً هل يجب الإمساك أم لا ؟
- ٢٨- بحث فىمن أجبر على الطلاق فقال فيه مذهبان : الأول : يقع ، والثانى : لا يقع وهو مذهب أهل البيت وهو الراجح .
- ٢٩- بحث فيما يقتضى التحريم من الرضاع واختار أنه لا يحرم إلا خمس رضعات .
- ٣٠- بحث فى دفع من قال : إنه يستحب الرفع فى السجود .
- ٣١- بحث فى يمين التعنت التى يطلبها المتخاصمان .
- ٣٢- بحث فى شفعة الجار .
- ٣٣- بحث فىمن أوصى بالثلث قاصداً إحرام الوارث .

- ٣٤- بحث فى كون الولد يلحق بأمه كابن الملاعنة والأمة ومجهول النسب .
- ٣٥- البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر .
- ٣٦- بحث فى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة .
- ٣٧- بحث فيما يتعلق بعورات النساء .
- ٣٨- بحث فى العمل بقول المفتى .
- ٣٩- تحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الإمام والمأموم فى الصلاة من الارتفاع والحائل وهى شرح لرسالته . إيضاح الدلائل .
- ٤٠- تنبيه الأسئال على عدم وجوب الاستعانة من خالص المال (١) .
- ٤١- تنبيه ذوى الحجا على حكم بيع الرجاء .
- ٤٢- جواب سؤال عن نجاسة الميتة .
- ٤٣- الدفعة فى وجه ضرر القرعة .
- ٤٤- رسالة القول المحرر فى حكم لبس المعصفر وسائرأنواع الأحمر .
- ٤٥- رسالة فى أحكام لبس الحرير .
- ٤٦- رسالة فى جواز استناد الحاكم فى حكمه إلى تقويم العدول .
- ٤٧- رسالة فى حكم الطلاق البدعى هل يقع أم لا؟ .
- ٤٨- رسالة فى اختلاف العلماء فى تقدير النفاس .
- ٤٩- رسالة فى التحلى بالذهب للرجال .
- ٥٠- رسالة فى التسعير هل يجوز أولا؟ .
- ٥١- رسالة فى نفقة المطلقة ثلاثاً .
- ٥٢- رسالة فى الكسوف هل يكون فى وقت معين على القطع أم ذلك يختلف؟ .
- ٥٣- رسالة فى القراءة التى يهذى ثوابها إلى الميت من الأحياء .
- ٥٤- رسالة فى أسباب سجود السهو .
- ٥٥- رسالة فىمن حلف ليقضين دينه غداً إن شاء الله .
- ٥٦- رسالة فى بيع الشئ قبل قبضه .

- ٥٧- رسالة هل الخلع طلاق أو فسخ ؟
- ٥٨- رسالة فى حكم بيع الماء .
- ٥٩- رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجح .
- ٦٠- سؤال عن الوصية للوارث .
- ٦١- سؤال فى التحيل لإسقاط الشفعة .
- ٦٢- سؤال فى إجبار الجار على البيع لأجل الغرر .
- ٦٣- شفاء العلل فى زيادة الثمن لأجل الأجل .
- ٦٤- الصوارم الهندية المسئلة على الرياض الندية فى الرد على من زعم أن غسل الفرجين من أعضاء الوضوء من الزيادة .
- ٦٥- ضرب القرعة فى شرطية خطبة الجمعة .
- ٦٦- القول الجلى فى لبس النساء للحلى .
- ٦٧- القول الصادق فى حكم إمامة الفاسق .
- ٦٨- القول الواضح فى صلاة المستحاضة .
- ٦٩- كشف الأستار عن الحكم فى الشفعة بالجوار .
- ٧٠- اللمعة فى الاعتداد بإدراك ركعة من الجمعة .
- ٧١- هفوات الأئمة الأربعة .
- ٧٢- بحث فى تكثير الجماعات فى مسجد واحد .
- ٧٣- هل يجوز قضاء المقلد؟
- ٧٤- بغية المستفيد فى الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد .

٥- المنطق :

- ١- أمنية المتسوق فى تحقيق علم المنطق .
- ٢- دفع الاعتراضات على إيضاح الدلالات .
- ٣- فتح الخلاف فى جواب مسائل عبد الرزاق الدهلوى الهندى فى علم المنطق .

٦- التصوف :

- ١- بحث فى التصوف تحت اسم الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات فى ذوى الإلحاد .
- ٢- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .

٧- أنواع متفرقة في بعض العلوم والفنون :

- ١- إبطال دعوى الاختلال في حل الإشكال .
- ٢- أدب الطلب ومتهى الأرب (١) .
- ٣- إرشاد المستفيد إلى دفع كلام ابن دقيق العيد .
- ٤- إفادة السائل في العشرالمسائل .
- ٥- بحث في الإضرار بالجار .
- ٦- بحث في تبادل اللفظ عند الإطلاق .
- ٧- بحث في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هل يكفى الرمز إليها خطأ أو لا بد من كتابتها كاملة ؟ .
- ٨- بحث في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وغيرها .
- ٩- بحث في حفلة المولد النبوى . قال : لم أجد في جوازه دليلاً وأول من اخترعه السلطان المظفر أبو سعيد في القرن السابع، وأجمع المسلمون أنه بدعة .
- ١٠- بحث في التعليق على الفوائد لابن القيم .
- ١١- بحث في النهى عن مودة أهل سوء .
- ١٢- بحث في كون سبب التفرق هو علم رأى .
- ١٣- جواب عن أسئلة وردت من كوكبان .
- ١٤- جواب أسئلة وردت من بعض علماء اليمن .
- ١٥- جواب أسئلة وردت من الفقيه قاسم بن لطف الله .
- ١٦- جواب سؤالات وردت من تهامة .
- ١٧- جيد النقد في عبارة الكشف والسعد .
- ١٨- حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزيال .
- ١٩- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة .
- ٢٠- رسائل على مسائل من السيد على بن إسماعيل .
- ٢١- رسالة جواب على مسائل لبعض علماء الحجاز .
- ٢٢- الروض الواسع في الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع .
- ٢٣- رسالة في حكم أجاب بها على الشريف إبراهيم بن أحمد بن إسحاق .

(١) نسخة بخط المؤلف ومن وقفه على مكتبة الجامع المقدسى بصنعاء رقم ٣٠٢ . وقد حكى فيه ما وقع له مع المقلدين، وتاريخ حياته كاملاً في طلب العلم، وما الذى يجب أن يكون عليه طالب العلم وما يجب أن يحصله .

- ٢٤- زهر النسرین الفائح بفضائل العمرین .
 ٢٥- الطود المنيف فی الانتصار للسعد بن الشریف .
 ٢٦- طیب النشر فی المسائل العشر .
 ٢٧- القول الحسن فی فضائل أهل اليمن .
 ٢٨- منحة المنان فی أجرة القاضی والسجان .
 ٢٩- نزهة الأحداق فی علم الاشتقاق .

ثانياً : الكتب المطبوعة :

- ١- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر ، ط . حيدر آباد سنة ١٣٢٨هـ .
- ٢- إبطال دعوى الإجماع على مطلق السماع ، ط . حيدر آباد سنة ١٣٢٨هـ .
- ٣- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، ط . النهضة العربية بمصر تحقيق د . إبراهيم هلال سنة ١٣٩٥هـ .
- ٤- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ط . المطبعة المنيرية ١٣٤٧هـ ، ط . السعادة سنة ١٣٦٥هـ ، وط . الحلبي سنة ١٣٥٦هـ .
- ٥- إرشاد السائل إلى دليل المسائل ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .
- ٦- إشكال السائل إلى تفسير ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .
- ٧- الإعلام بالمشائخ الأعلام والتلامذة الكرام ، معجم لشيوعه ، ط . ١٣٢٨هـ (حيدر آباد) .
- ٨- الإيضاح لمعنى التوبة والصلاح ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .
- ٩- بحث في وجوب محبة الله ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .
- ١٠- بحث في الاستدلال على كرامات الأولياء ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .
- ١١- بحث في إجابة الدعاء لاينافي سبق القضاء ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .
- ١٢- بحث في الكلام على أمانء الشريعة ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .
- ١٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط . السعادة ١٣٥٠هـ ، ط . دار المعرفة بيروت بدون تاريخ « أثبت فيه أن القرون المتأخرة عمرت بالعلماء المجتهدين، ولم يخل قرن من القرون من جماعة من هؤلاء ؛ لأن خلو عصر من أمثال هؤلاء ضياع الشريعة بلا مرية وذهاب الدين بلا شك، وهو تعالى قد تكفل بحفظ دينه، وليس المراد : حفظه في بطون الصحف والدفاتر بل إيجاد من يبينه للناس في كل وقت وعند كل حاجة » (١) .

(١) مقدمة البدر الطالع .

١٤- تحفة الذاكرين فى شرح (عدة الحصن الحصين) ، ط. مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٠هـ ، قال فى مقدمته : « وبعد : فإنه لما كان كتاب (عدة الحصن الحصين) فى الأذكار الواردة عن سيد المرسلين من أكثر الكتب نفعا ، وأحسنها صنعا ، وأتقنها جمعا وأحكمها وضعاً ، بقى فيه ما بقى الدين من العين ، وإن لم يكن فيه شين ، وهو عدم التنبيه على ما فى بعض أحاديثه من المقال ، وعدم الانتباه لعزوه إلى مخرجه إلى الكمال - إلى أن قال - ولم نقف إلى الآن ، ولا سمعنا عن أحد من أهل العرفان ، أنه شرح هذا الكتاب بشرح يشرح صدور أولى الألباب ، ويتبين به القشر من اللباب ، ولا أنه حام أحد حول هذا المقصد النفيس ، والغرض الذى هو لطالب هذا الكلام على فوائد الحديث كالرئيس» (١) . إلخ .

١٥- التحف فى مذاهب السلف ، ط . المنيرية سنة ١٣٨٣هـ ، والحلبى ١٣٥٠هـ .
١٦- تنبيه الأفاضل على ما ورد من زيادة العمر ونقصه من الدلائل ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١٧- تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام ، ط . مصر مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠هـ تحت اسم (كشف الشبهات عن المشتبهات) (٢) .

١٨- جواب سؤال يتعلق بما ورد فى الخضر عليه السلام ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١٩- جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢٠- جواب عن سؤال الصبر والحلم ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢١- جواب عن سؤال كيف أن الفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ واقعة فى موقع الدليل ، ط . النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٢- جواب عن سؤال عن نكتة التكرار فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، ط . النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٣- الدرارى المضئية فى شرح الدرر البهية ، ط . مصر الحرة سنة ١٩٢٨هـ .

٢٤- الدرر البهية : متن الدرارى المضئية ، ط . مصر الحرة سنة ١٩٢٨هـ .

٢٥- الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ، ط المنيرية ١٣٤٨هـ .

٢٦- الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل ، ط . المنيرية ١٣٤٣هـ .

٢٧- رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة ، ط . المنيرية ١٣٤٢هـ ، و ١٣٤٨هـ .

٢٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، ط . الشؤون الإسلامية بمصر سنة ١٣٩٠هـ ،

(١) من مقدمة تحفة الذاكرين .

(٢) راجع : مقدمة ولاية الله للدكتور : إبراهيم هلال ، تحقيق كتاب قطر الولي للشوكاني .

وط . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - قال فى مقدمته : « فإن مختصر الأزهار لما كان مدرس طلبية هذه الديار فى هذه الأعصار ومعتمدتهم الذى عليه فى عباداتهم ومعاملاتهم المدار ، وكان قد وقع فى كثير من مسائل الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين ، أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم فى ذات بينهم ، فمن كان أهلاً للترجيح ومتأهلاً للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء الله سيعرف لهذا التعليق قدره ، ويجعله لنفسه مرجعاً » إلخ .

٢٩- شرح الصدور فى تحريم رفع القبور ، ط . المنيرية سنة ١٣٤٧هـ .

٣٠- العقد الثمين فى إثبات وصاية أسير المؤمنين ، ط . المنيرية سنة ١٣٤٨هـ .

٣١- عقود الزبرجد فى مسائل جيد علامة ضمد ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٣٢- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ، ط . فى الهند سنة ١٢٠٣هـ ، ثم بمصر ، ط . المحمدية سنة ١٣٨٠هـ ثم قام بتحقيقه عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمنى ١٣٩٨هـ . قال فى مقدمته : « وبعد : فلما كان تمييز الموضوع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الفنون ، وأعظم العلوم ، وأنبأ الفوائد من جهات يكثر تعدادها ولولم يكن منها إلا تنبيه المقصرين فى علم السنة على ما هو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجنّبوه ، ويحذروا من العمل به ، واعتقاد ما فيه وإرشاد الناس إليه ، كما وقع لكثير من المصنفين للفقهاء » إلخ^(١) .

٣٣- قطر الولى على حديث الولى ، تحقيق الدكتور إبراهيم هلال ، ط . دار الكتب الحديثية سنة ١٣٩٥هـ . قال فى مقدمته : « فإنه لما كان حديث « من عادى لى ولياً » قد اشتمل على فوائد كثيرة النفع جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها وتدبرها كما ينبغى ، أحببت أن أفرد هذا الحديث الجليل بمؤلف مستقل ، أنشر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة ويصل إليه الفهم ، وما أحقه بأن يفرد بالتأليف ، فإنه قد اشتمل على كلمات كلها درر ، الواحدة منها تحتها من الفوائد ما ستقف على البعض منه ، وكيف لا يكون كذلك وقد حكاه عن الرب سبحانه من أوتى جوامع الكلم ، ومن هو أفصح من نطق بالضاد ، وخير العالم بأسره ، وأجل خلق الله ، وسيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم » إلخ^(٢) .

٣٤- القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ، ط . المنيرية سنة ١٣٤٨هـ ، وط . دار القلم تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق ، وتحقيق محمد عثمان الخشت ، ط . مكتبة القرآن القاهرة . قال فى مقدمته : « طلب منى بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثاً يشتمل على تحقيق الحق فى التقليد أجائز هو أم لا؟ على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك ، ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على غلط علم المناظرة . فنقول وبالله التوفيق » إلخ^(٣) .

(١) راجع : مقدمة كتاب الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .

(٢) راجع : مقدمة قطر الولى : ص ٢١٧ . (٣) راجع : مقدمة القول المفيد : ص ١٨ .

- ٣٥- المسك الفائح فى حط الجوائح ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .
- ٣٦- نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، مختصر من نيل الأوطار ، ط . بالهند سنة ١١٩٧هـ .
- ٣٧- نيل الأوطار (شرح منتقى الأخبار) ، ط . الحلبي سنة ١٣٤٧هـ ، وط . العثمانية ١٣٥٧هـ ، وط . المكتبات الأزهرية القاهرة ١٣٨٥هـ قال فى مقدمته : « وبعد : فإنه لما كان الكتاب الموسوم بالمنتقى من الأخبار فى الأحكام مما لم ينسج على بديع منواله ، ولاحرر على شكله ومثاله أحد من الأئمة الأعلام ، قد جمع من السنة المطهرة مالم يجتمع فى غيره من الأسفار، وبلغ إلى غاية فى الإحاطة بأحاديث الأحكام تتقاصر عنها الدفاتر الكبار ، وشمل من دلائل المسائل جملة نافعة تغنى دون الظفر ببعضها طوال الأعمار ، وصار مرجعاً لجلة العلماء عند الحاجة إلى طلب الدليل لاسيما فى هذه الديار والأعصار » إلخ .
- ٣٨- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من التفسير - وهو موضوع هذا التحقيق - ويوجد أصله فى الجامع الكبير بصنعاء ويقع فى ستة مجلدات كبار تحت رقم ٧٩ تفسير بعنوان مطلع البدرين ومجمع البحرين، وقد أخطأ د. هلال عندما اعتبر كتاب مطلع البدرين مؤلفاً آخر للشوكانى فى علم التفسير^(١) ، والصحيح أن المطبوع بعنوان (فتح القدير) والمخطوط بعنوان : مطلع البدرين فينبغى الالتفات إلى ذلك^(٢) .
- يقول الدكتور عبد الغنى قاسم : « ولايزال المجال مفتوحاً أمام الباحثين للتنقيب عن سائر مؤلفاته، والتي يمكن العثور عليها فى المكتبات المنزلية للأسر اليمنية التى توارثت ملكية مخطوطات علماء اليمن وفى مكتبات كل من الهند حيث يوجد تلاميذه وتركيا (اسطنبول) وإيطاليا وبريطانيا وسائر متاحف ومكتبات أوربا الغربية والشرقية ، حيث تتواجد الكثير من المخطوطات التى تسربت إلى خارج اليمن ، ويقدر الباحث عدد أبحاث ورسائل المجموع (المفقود) . الذى كان بحوزة السيد العلامة محمد المنصور عضو مجلس الشعب حالياً باليمن بما لا يقل عن ٧٠ بحثاً ورسالة قياساً على مجاميعه الأخرى التى قام الباحث بالاطلاع عليها، وأشار إليها الإمام الشوكانى بأنها مجلدات كبيرة تحمل عنوان (الفتح الربانى) (٣) . وإذا كان ذلك كذلك، فيطيب لنا أن نقطع شوطاً آخر فى منهج الشوكانى فى التفسير .

(١) راجع : قطر الولي .

(٢) الإمام الشوكانى حياته وفكره : د. عبد الغنى قاسم : ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٩ ، ط . مؤسسة الرسالة . بيروت ، والجيل الجديد - صنعاء .

منهج الشوكاني في التفسير

ما المنهج الذي سار عليه الشوكاني في تفسيره ؟ :

أسلك المناهج المعبدة ، والطرق المجهدة التي سلكها رجال التفسير قبله ؟

أم كانت له طريقه الخاصة ، وقواعده الدقيقة التي قعدها لنفسه ، وسار عليها حتى قدم كتابه العظيم « فتح القدير » ؟ أم أنه بعد الاطلاع والتنقيب ، والفحص والتمحيص في كتب المفسرين اختار مفسراً معيناً فتابعه في منهجه ، واتخذة دليلاً للسير عليه ؟

إن القارئ المدقق لكتب التفاسير السابقة على الشوكاني يرى أن بعض المفسرين قد اهتم اهتماماً كبيراً باللغة ، وبعضهم قد اهتم بالأحكام ، وبعضاً ثالثاً قد أكثر من المسائل الفلسفية وآراء علماء الكلام ، إلى غير ذلك من الاتجاهات ، والتي يعبر عنها صاحب « كشف الظنون » بقوله : « فالنحوى تراه ليس له إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، وإن كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه ، وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر والنهر ، والإخبارى ليس له شغل إلا القصص ، والإخبار عمن سلف ، سواء كانت صحيحة أو باطلة ، والفقهاء يكاد يسرد الفقه جميعاً ، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلاً . والجواب عن الأدلة للمخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الإمام الرازى قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة » إلخ .

وإذا كان ذلك كذلك أترى الشوكاني قد أعجبه شيخه ابن جرير الطبري فسار على نهجه ، واتبع أصوله التي قعدها لنفسه فى التأويل والتفسير والتي لخصها بقوله :

« تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة :

أحدها : لا سبيل إلى الوصول إليه وهو الذى استأثر الله بعلمه ، وحجب علمه عن جميع خلقه .

الثانى : ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر أمته وهو ما فيه مما عباده إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم تأويله .

الثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه لا توصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم .

فإذا كان ذلك كذلك ، فأحق المفسرين بإصابة الحق فى تأويل القرآن أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة عنه إما من جهة النقل المستفيض - فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض . وإما من جهة نقل العدول الأثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ، أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته . وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبين من ذلك مما كان

مدرکاً علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفیضة المعروفة (١) .

أترى الشوکانی أعجبه هذا المنهج فتعرف على کلیاته وجزئیاته وشمر عن سواعده وسار علیه حتى وضع کتابه ؟ أم ترى أن هذا المنهج الذى وضعه شیخ المفسرین لا یفى بما عزم علیه ، وما أراد الوصول إليه فى عصر جدت فيه متطلبات كثيرة ، ومتغیرات متلاحقة ، الأمر الذى یقتضیه أن یقطع رحلة متأثية فى أغوار كتب التفاسیر لیخرج من ذلك بمنهج آخر یفى بحاجة المسلمین فى القرن الثالث عشر الذین وفدت إلى بلادهم فى هجمة بربرية طلاسם الفلاسفة ، وتهویمات المتصوفة ، وتعقیدات الباطنية ، أترى یتجه بشراعه إلى تفسیر القرطبی المسمى : (الجامع لأحكام القرآن) علیه یجد بین دفتیه طلبته أو یفتح أمامه الطريق إلى إملاء تفسیر یجد فيه جماعة المسلمین فى عصره ما یتواكب مع متطلباتهم ، ویغریهم بالعودة إلى کتاب ربهم ؟

إن صاحب (الجامع) یلخص منهجه بقوله : « رأیت أن أكتب تعلیقاً وجیزاً یتضمن نکتاً من التفسیر واللغات والإعراب والقراءات ، والرد على أهل الزیغ والضلالات ، وأحادیث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعاً بین معانیهما ومبیناً ما أشكل منهما بأقوال السلف ، ومن تبعهم من الخلف . . . » ثم یقول : « وشرطى فى هذا الكتاب : إضافة الأقوال إلى قائلیها وكثیراً ما یجىء الحديث فى كتب الفقه والتفسیر مبهماً لا یعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فبقی من لا خبرة له بذلك حائراً لا یعرف الصحیح من السقیم » ثم یقول مكملأً منهجه بقوله : « وأضرب عن كثير من قصص المفسرین ، وأخبار المؤرخین ، إلا ما لابد منه ولا غنى عنه للتیین ، واعتضت (٢) من ذلك تبیین آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حکماً أو حکمین فما زاد مسائل نبین فیها ما تحتوى علیه من أسباب النزول والتفسیر الغریب والحکم » (٣) .

أترى هذا المنهج فى تفسیر القرطبی یرضى طلبته ویحقق رغبته ویفى بما یریده فى تفسیره ، وما تتطلبه نفسه الطلعة . . ؟ أم أن الشوکانی یرید شیئاً جدیداً لم یسبق إليه وتفسیراً فريداً تتسابق العقول علیه ؟

وإذا كان ذلك كذلك ، أترى یجد طلبته فى کتاب « المحرر الوجیز فى تفسیر الكتاب العزیز » لابن عطية الأندلسی . إن شیخ الإسلام ابن تیمیة یعرف لهذا الكتاب قدره ویفضله على غیره من كتب التفاسیر ، ویقول عنه : « تفسیر ابن عطية خیر من تفسیر الزمخشري ، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها ، بل هو خیر منه بكثیر ، بل لعله أرجح هذه التفاسیر » (٤) .

(١) راجع : مقدمة التفسیر : ص ٣١ .

(٢) أى : قصدت وأردت من ذلك . (٣) راجع : مقدمة التفسیر : ص ٣ ، ط . دار الكتب المصریة .

(٤) راجع : مقدمة التفسیر لابن تیمیة : ص ٨٩ ، ٩٠ ، ط . دار القرآن الکریم .

إذا كان ذلك كذلك ، فليمخر بشراعه إلى هذا التفسير ويغوص في أعماقه ويتعرف على جواهره وكنوزه ، ويضع يده على منهجه ودليله يقول صاحب « المحرر الوجيز » :

« ففزعت إلى تعليق مايتنخل^(١) لى فى المناظرة من علم التفسير وترتيب المعانى وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً ، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء فى المعانى منسوبة إليهم ، على ماتلقى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كتاب الله تعالى من مقاصده العربية ، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز ، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم ، وسردت التفسير فى هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو ، أو لغة ، أو معنى ، أو قراءة ، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر^(٢) كما فى كثير من كتب المفسرين » ، ثم يقول : « وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها ، واعتمدت تبين المعانى وجميع محتملات الألفاظ كل ذلك بحسب جهدى ، وما انتهى إليه علمى »^(٣) .

ثم ماذا ؟ أترى الشوكانى وقف عند هذا التفسير ؟ وألقى رحله فى كنفه ؟ ووجد طلبته عند صاحبه ؟

إن المتتبع لحياة الشوكانى العلمية يرى أنه نخل المكتبة الإسلامية وعایشها معاشة كاملة ، وتعرف على كل ما أنتجته العقول من كتب التفاسير ووضع يده عليه ، ثم قرأها قراءة الفاحص المدقق ، قراءة الناقد البصير ، والصيرفى الألعى الذى يعرف الجوهر الأصيل من البهرج الزائف ، والعالم القدير بكتاب ربه الذى تحدى به الثقلين بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(٤) .

وبعدها قدم منهجه فى التفسير منهجا جامعاً شاملاً ، فريداً فى بابه ، حوى جواهر ابن جرير ، وعمق القرطبى ، وإيجاز ابن عطية ، وتدقيق ابن كثير ، ودرر السيوطى ، والمعية الشوكانى ، ويعرض منهجه فى التفسير بقوله :

« وطنت النفس على سلوك طريقة هى بالقبول عند الفحول حقيقة ، وهأنأ أوضح لك منارها ، وأبين لك إيرادها وإصدارها فأقول : إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين ، وسلکوا طريقين :

الفريق الأول : اقتصرُوا فى تفاسيرهم على مجرد الرواية ، وقنعوا برفع هذه الرواية .

والفريق الثانى : جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية ، وما تفيده العلوم الآلية ، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً ، وإن جاؤوا بها لم يصححوا لها أساساً .

وكلا الفريقين قد أصاب ، وأطال وأطاب ، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب ، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب .»

(١) نخل الشئ ينخله نخلاً ، واتنخله : صفاه واختاره ، تنخلت : اخترت أجوده . اللسان ١١/٦٥١ .

(٢) أى الوثب والقفز ، والمراد عدم تتبع ألفاظ الآيات . اللسان ٤/٥٠١ .

(٣) مقدمة التفسير : ص ١٠ ، ١١ ، ط الشيخ خليفة بن حمد آل ثان .

إزاء : ٨٨ .

ثم قال :

« وبهذا تعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين ، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين ، وهذا هو المقصد الذى وُطنت نفسى عليه ، والمسلك الذى عزمت على سلوكه إن شاء الله ، مع تعرضى للترجيح بين التفسيرات المتعارضة مهما أمكن واتضح لى وجهه ، وأخذى من بيان المعنى العربى والإعرابى والبيانى بأوفر نصيب ، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو تابعيهم أو الأئمة المعبرين ، وقد أذكر ما فى إسناد من ضعف ، إما لأن فى المقام ما يقويه ، أو لموافقته للمعنى العربى .

وقد أذكر الحديث معزواً إلى راويه من غير بيان حال الإسناد ؛ لأئنى أجد فى الأصول التى نقلت عنها كذلك ، كما يقع فى تفسير ابن جرير والقرطبى ، وابن كثير والسيوطى وغيرهم ، ويبعد كل البعد أن يعلموا فى الحديث ضعفاً ولا يبينونه ، ولا ينبغى أن يقال فيما أطلقوه: إنهم علموا ثبوته ، فإن من الجائز أن ينقلوه دون كشف عن حال الإسناد ، بل هذا هو الذى يغلب به الظن ؛ لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك ، كما يقع منهم كثيراً التصريح بالصحة أو الحسن ، فمن وجد الأصول التى يروون عنها ، ويعزون ما فى تفسيرهم إليها فلينظر فى أسانيدنا موقفاً إن شاء الله .

واعلم أن تفسير السيوطى المسمى بـ « الدر المنثور » قد اشتمل على غالب ما فى تفسير السلف من التفسيرات المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتفسيرات الصحابة من بعدهم ، وما فاته إلا القليل النادر ، وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة منه مما يتعلق بالتفسير ، مع اختصار لما تكرر لفظاً واتخذ معنى .

وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها ، وجدتها فى غيره من تفسير علماء الرواية ، أو من الفوائد التى لاحت لى من تصحيح ، أو تحسين أو تضعيف أو تعقب ، أو جمع أو ترجيح .

وهذا التفسير — وإن كبر حجمه — فقد كثر علمه ، وتوفر من التحقيق قسمه ، وأصاب غرض الحق سهمه ، واشتمل على ما فى كتب التفسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد ، ثم أرجع إلى تفسير المعتمدين على الدراية ، ثم أنظر فى هذا التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب ، وعجب العجائب ، وذخيرة الطلاب ، ونهاية مآرب أولى الألباب « (١) .

هذا هو المنهج الإجمالى الذى ارتضاه الشوكانى لنفسه وسار على قواعده التى قعدها حتى انتهى من كتابة التفسير ، والذى نوضحه فيما يلى :

أولاً : الجمع بين التفسير بالرواية والدراية ، والمقارنة بين التفسيرات التى سبقته والترجيح بين آرائها .

(١) راجع : مقدمة التفسير : ص ١٢ ، ١٣ ، ط . دار المعرفة ، بيروت .

ثانياً : العناية باللغة أشد العناية ؛ لأن اللغة العربية بما فيها من إعراب للكلمات وبيان لمواقفها ، وتوضيح للاتصال بينها ، وتصريف للمشتقات منها هي أهم الأسلحة التي يجب أن يتسلح بها من يريد أن يقدم على تفسير كتاب الله تعالى . والشوكانى له فى ذلك باع طويل ، ولقد قدم للمكتبة العربية كتابه : «نزهة الأحداق فى علم الاشتقاق» . مما يدل على اهتمامه باللغة وحرصه عليها ، والتزاماً بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً سأله : أى علم القرآن أفضل؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «عربيته فالتمسوها فى الشعر»^(١) . وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه ، فإن الله يحب أن يعرب»^(٢) .

ولقد رجع الشوكانى إلى العديد من مصادر اللغة العربية مثل : كتاب الزاهر لابن الأنبارى محمد بن القاسم بن محمد ٢٧١ - ٣٢٨ هـ ، وكتاب تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ ، وكتاب الجوهرة لابن دريد محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ ، وكتاب الصحاح فى اللغة للجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ ، وغير ذلك كثير .

ثالثاً : عنايته بالبيان والبديع ؛ ولهذا يقول صاحب الكشف : « لا يغوص على شئ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى ، وعلم البيان ، وتمهل فى ارتيادهما آونة وتعب فى التقيب عنهما أزيمة »^(٣) .

ولا شك أن الشوكانى استفرغ الجهد فى هذين العلمين وقدم لنا كتابه القيم : « الروض الواسع فى الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع » .

رابعاً : الاهتمام بإيراد ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والمتصفح لتفسيره يرى أن الأخبار المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي صح سندها قليلة بالنسبة إلى جانب المأثور عن الصحابة والتابعين ، وأكثر مروياته فى التفسير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ثم عن على - رضى الله عنه - وتأتى الرواية عن بقية الصحابة بعدهما ، وجل اعتماده على تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم وعبد الرزاق وعبد بن حميد ، ومن المتأخرين يعول على تفسير ابن كثير والدر المنثور للسيوطى .

خامساً : الاهتمام بذكر كل القراءات الصحيح والشاذ ، ويبدأ بذكر القراءات الصحيحة ثم يذكر القراءات الشاذة ، وينبه دائماً على شذوذها ، ونراه فى كثير من الأحيان يعلل وينتقد ويستند فى ذلك على رده لها إلى قواعد اللغة أو قواعد النحو ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة

(١) يشهد لذلك ما رواه ابن الأنبارى عن أبى بكر الصديق قال : لأن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية ، وروى البيهقى فى الشعب عن مالك قال : لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا .

(٢) رواه أبو يعلى والبيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « أعربوا القرآن يذكركم على تأويله » . والإعراب : البيان . ولنظام الدين النيسابورى تفسير سماه : غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

(٣) جمع : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ١ / ١٦ ، ط . دار الفكر العربى ١٣٠٠ هـ - ١٩٧٧ م .

فى كتابه .

سادساً : يقرر أن كتابه هذا اشتمل على ما فى كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد .

وإذا كان ذلك كذلك ، فما هو المنهج التفصيلى الذى اتبعه فى تفسيره حتى جاء بالزوائد الفرائد والقواعد الشرائد ؟

يقول الدكتور محمد حسن بن أحمد الغمارى : « درج فى شرح الآية أو الآيات على أنه يفصل القول على الترتيب التالى :

أ - بيان كون السورة من المكى أو المدنى .

ب - الدلالة على فضلها .

ج - بيان الحروف المقطعة .

د - الاهتمام باللغة وأسباب النزول ثم الإعراب .

هـ - المعنى الإجمالى للآية .

و - الختم بالرواية وإيراد بعض الآثار ^(١) .

وعلى هذا ، فتفسير الشوكانى وحيد من حيث جمعه وترتيبه ، وحسن أدائه واستيعابه لأنواع علوم القرآن وجمعه بين الدراية والرواية . هذه أهم المميزات التى امتاز بها الشوكانى بالإضافة إلى أشياء كثيرة يلمسها الباحث عند استعراضه لقراءة هذا التفسير . منها نقده لمدرسة الاعتزال وبعض آراء الزيدية وهو منهم ، وإنصافه للكثير من الآراء التى نادت بها المدرسة السلفية ، وإذا كان ذلك كذلك ، فما موقف الشوكانى من تفسير آيات الصفات ؟ والتناسب بين الآيات ؟ ومن الأحاديث الضعيفة ؟ ومن الإسرائيليات ؟ هذا ما سنوضحه فيما يلى :

١- الشوكانى وقضية الصفات :

ما موقف الشوكانى من قضية الصفات ؟ أترأه كان معتقده فى ذلك معتقد المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة ؟ وهم يقولون : إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه ، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً ، وأنه انقلب من الامتناع الذاتى إلى الإمكان الذاتى .

أم كان هواه مع ابن كلاب والأشعرى ومن وافقهما فى قولهم : إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه ، وأما الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شىء واحد لازم لذاته ^(٢) .

أم ترأه واكب أبا حنيفة فى فقهه الأكبر ، وما نادى به نعيم بن حماد وإسحاق بن راهويه ؟

(١) راجع : الإمام الشوكانى مفسراً للدكتور محمد حسن الغمارى : ص ١٤٩ .

(٢) راجع : شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقنا ١/ ١٤٤ .

إن الإمام أبا حنيفة يقول : لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ، ثم قال : وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرويتنا . .

وقال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تشبيه .

وقال إسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله ، فهو كافر بالله العظيم .

وقال علامة جهنم وأصحابه : دعواهم على أهل السنة والجماعة - ما أولعوا به من الكذب - أنهم مشبهة بل هم المعطلة^(١) . أم أنه سار على ما سارت عليه المدرسة السلفية في إثبات الصفات وإجرائها على ظواهرها ونفى الكيفية عنها كما قال الإمام مالك - رضى الله عنه - : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب » .

إن الفاحص المدقق لما كتبه الشوكاني في تفسيره وفي غيره من المؤلفات والمصنفات يرى أنه تابع المدرسة السلفية في كثير من آرائها وخصوصاً ما قررته في الصفات والأسماء .

ويطيب لنا في هذه العجالة أن نقدم نموذجاً لمعتقد الشوكاني في الصفات عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

قال الشوكاني : قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً : وأحقها وأولها للصواب مذهب السلف الصالح : أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه . والاستواء في لغة العرب : هو العلو والاستقرار . قال الجوهري : استوى على ظهر دابته : أى استقر ، واستوى إلى السماء : أى صعد . واستوى : أى استولى وظهر ، ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق^(٣)

وفى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٤) قال أحمد بن يحيى : قال ثعلب : الاستواء : الإقبال على الشيء ، وكذا قال الزجاج والفراء . وقيل : هو كناية عن الملك والسلطان ، والبحث في تحقيق هذا يطول .

ثم يقول : والذى ذهب إليه أبو الحسن الأشعري : أنه سبحانه مستو على عرشه بغير حد ولا كيف ، وإلى هذا سبقه الجماهير من السلف الصالح الذين يَمرون الصفات كما وردت من

(١) المصدر السابق ١ / ١٣٢ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

(٣) راجع : فتح القدير ، سورة الأعراف : آية رقم ٥٤ . (٤) طه : ٥ .

دون تحريف ولا تأويل (١) .

ومن هنا نرى أن الشوكاني واكب مدرسة السلف في باب الصفات حيث إنهم يشتون ما أثبتته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله .

قال أبوداود الطيالسي : كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة : لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون يروون الحديث ولا يقولون : كيف ؟ وإذا سئلوا بالآثر (٢) .

قال أبو حنيفة — رضى الله عنه — : له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف ولا يقال : إن يده قدرته ونعمته ؛ لأن فيه إبطال الصفة . انتهى .

وهذا الذى قاله الإمام رضى الله عنه ثابت بالقرآن الكريم قال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٦) وقال : ﴿ وَاصْطَنَعْتُ لِنَفْسِي ﴾ (٧) ، وقال : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (٨) ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (١٠) .

وكل هذه الأشياء تدل دلالة قاطعة على أن الشوكاني سلفى المعتقد فى تفسيره ، ولقد كان المصنفان شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتفسير ابن كثير الذى رجع إليه فى كثير من الأحيان أثره الكبير فيما ذهب إليه من آراء وقعه من قواعد وأفكار .

٢- الشوكاني وتناسب الآيات والسور :

ما هى قضية تناسب الآيات والسور التى أثارها الشوكاني فى تفسيره ؟

أهى قضية جديدة ، وعلم مبتكر لم يعرفه رجال التفسير فى العصور السابقة ؟

أعنى أن هذا العلم لم تعرفه الطبقة الأولى من المفسرين أمثال : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ولم تعرفه الطبقة الثانية من التابعين أمثال : سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك ، ولم يعرفه شيخ المفسرين الذى قال عنه أبو حامد الإسفرايينى : لو مافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً . ولم يعرفه صاحب المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز الذى قال عنه أبو حيان : أجل ما صنف فى علم

(١) فتح القدير، سورة طه : آية رقم ٥ .

(٢) راجع : شرح الطحاوية بتحقيقنا ١ / ٢٨٤ . (٣) ص : ٧٥ . (٤) الزمر : ٦٧ .

(٥) المائدة : ١١٦ . (٦) الأنعام : ٥٤ . (٧) طه : ٤١ . (٨) آل عمران : ٢٨ .

(٩) القصص : ٨٨ . (١٠) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .

التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير ، وهل البقاعى صاحب هذه الفكرة ؟ وهل هو أول من كتب عنها وتناولها من المفسرين والمؤولين ؟

إن القارئ للمقدمة التى كتبها البقاعى لكتابه : « نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور » يشعر للوهلة الأولى أنه فارس حليتها وعملها فكرتها ؛ لأنه يقول : « وبعد : فهذا كتاب عجب ، رفيع الجنب فى فن ما رأيت من سبقنى إليه ولا عول ثاقب فكره عليه ، أذكر فيه - إن شاء الله - مناسبات ترتيب السور والآيات أطلت فيه التدبر ، وأنعمت فيه التفكير لآيات الله امثالاً لقوله : ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

ولكن صاحب كتاب « البرهان فى علوم القرآن » يضع فى كتابه فصلاً عنونه بقوله : معرفة المناسبات بين الآيات . قال فيه : « وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فى كتابه « البرهان فى مناسبة ترتيب القرآن » وتفسير الإمام فخر الدين الرازى فيه شئ كثير من ذلك .

ثم يقول : « واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول . والمناسبة فى اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا ، أى يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب ، أى القريب المتصل ، ومنه المناسبة فى العلة فى باب القياس : الوصف المقارب للحكم . وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط . ويقول فخر الدين الرازى : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط » (٢) .

وإذا كان ذلك كذلك ، فماذا ينقم الشوكانى من هذا العلم ؟

قال الشوكانى عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٣) :

« اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف ، وخاضوا فى بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم فى فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم فى التكلم بمحض الرأى المنهى عنه فى الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود فى المصاحف ، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الأنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعى فى تفسيره ، ومن تقدمه حسبما ذكر فى خطبته ، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى أن قبضه الله - عز وجل - إليه .

(١) ص : ٢٩ . (٢) راجع : البرهان فى علوم القرآن : ص ٣٥ ، ٣٦ . (٣) البقرة : ٤٠ .

وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لنزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة لتحريم أمر كان حلالاً ، وتحليل أمر كان حراماً ، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله .

وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحيناً في عبادة ، وحيناً في معاملة ، ووقتاً في ترغيب ، ووقتاً في ترهيب ، وآونة في بشارة ، وآونة في نذارة ، وطوراً في أمر دنيا ، وطوراً في أمر آخرة ، ومرة في تكاليف آتية ، ومرة في أقاصيص ماضية . وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومبتaine هذا التباين الذى لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون ، والماء والنار ، والملاح والحادى ؟ وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك ، وتوسيع دائرة الريب على من فى قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور ؟ .

فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون فى التناسب بين جميع آى القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه ، وأنه لا يكون القرآن بلاغياً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة ، وتبين الأمر الموجب للارتباط ، فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون فى ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً انقذ فى قلبه ما كان عنه فى عافية وسلامة .

هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن فى المصحف ، فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ؟

ومن شك فى هذا — وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم — رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول ، المطلعين على حوادث النبوة ، فإنه يتلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر فى سورة من السور المتوسطة فضلاً عن المطولة ؛ لأنه لامحالة يجدها مشتملة على آيات نزلت فى حوادث مختلفة ، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها ، وما نزل فيها فى الترتيب ، بل يكفى المقصر أن يعلم أن أول ما نزل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ ^(١) ، وبعده : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ^(٢) ، ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ^(٣) . وينظر أين موضع هذه الآيات والسور فى ترتيب المصحف ؟

وإذا كان الأمر هكذا ، فأى معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم فى ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً ، وتأخر ما أنزله الله متقدماً ، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضيع الأوقات ، وإنفاق الساعات فى أمر لا يعود بنفع على فاعله ، ولا على من يقف

(١) العلق : ١ .

(٢) المدثر : ١ .

(٣) المزمل : ١ .

عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً ، وأخرى هجاء ، وحيناً نسيباً ، وحيناً رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة ، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعته ، ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد ، والخطبة التي خطبها في الحج ، والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك ، وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء ، والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته ، عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله .

وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر ، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكت فصاحته عدنان وقحطان ؟ وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي وأنزله بلغة العرب ، وسلك فيه مسالكهم في الكلام ، وجرى به مجاريهم في الخطاب .

وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة ، وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين ، فضلاً عن المقامات ، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حياً وكذلك شاعرهم . ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن ؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بنى إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبى البشر — آدم عليه السلام — فإذا قال متكلف : كيف ناسب هذا ما قبله . . ؟ قلنا : لا كيف .

فدع عنك نهبا صيح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل (١)

هذا ماقاله الشوكاني في تناسب الآيات والسور ، وشرح فيه وجهة نظره ، وانتهى في النهاية إلى عدم جدوى هذا الفن الذي سار فيه البقاعى ومن سبقه من العلماء .

وهذه النتيجة التي توصل إليها الشوكاني في علم تناسب الآيات والسور قد سبقه إليها سلطان العلماء — العز بن عبد السلام (٢) — حيث قال : « المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر » .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصاب عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في

(١) راجع : فتح القدير سورة البقرة : آية رقم ٤٠ .

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز ، ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ . راجع : ترجمة وافية له في طبقات الشافعية ٨٠ / ٥ — ١٠٧ .

خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها » . انتهى .

هذه هي وجهة نظر العالم الكبير العزيز عبد السلام ، حيث يرى أن التناسب بين الآيات والسور مركبٌ صعب ، ويكاد يكون من الأمور المتعسرة بل والمستحيلة .

وإذا رجعنا إلى الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » نراه يؤكد هذا العلم ويطلب به ويقدم الأدلة على إمكانه من ذلك : « قلت : وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفى ، وهذا [هو] الراجح كما سيأتى ، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ، ويظهر أخرى . كافتتاح سورة الأنعام بـ ﴿ الحمد ﴾ فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿ الحمد ﴾ (٢) أيضاً ، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ﴾ (٣) .

وكافتتاح سورة الحديد بالتيسيع . قال تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) ، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به . قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٥) .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة .

فذكر هنا في مقابلة البخل ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٦) ، أى الكثير ، وفى مقابلة ترك الصلاة ﴿ فصل ﴾ أى دُم عليها ، وفى مقابلة الرياء ﴿ لربك ﴾ أى لرضاه لا للناس ، وفى مقابلة منع الماعون ﴿ وانحر ﴾ وأراد به : التصديق بلحم الأضاحى ، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتيسيع ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التيسيع حيث جاء مقدم على التحميد ، يقال : سبحان الله والحمد لله (٧) .

هذه أهم الحجج التى ذكرها صاحب « البرهان فى علوم القرآن » ، ولا شك أن ما ذكره الشوكانى هو حق وصدق والفس بفسطرتها تميل إليه ، وكذلك ما ذكره الزركشى ، لا يقبل النقض بعد أن قدم الدليل عليه وصدق ربه فى قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (٨) .

(٣) سبا : ٥٤ .

(٢) فاطر : ١ .

(١) الزمر : ٧٥ .

(٦) الكوثر : ١ .

(٥) الواقعة : ٩٦ .

(٤) الحديد : ١ .

(٨) هود : ١١٨ .

(٧) راجع : البرهان فى علوم القرآن ١ / ٣٨ ، ٣٩ .

٣- الشوكاني وموقفه من الإسرائيليات :

ما هي الإسرائيليات ؟ وما صلتها بكتب التراث الإسلامى بعامة ؟ وكتب التفسير على وجه الخصوص ؟ أعنى بها الأفكار والآراء التى جاءت عن طريق اليهود ؟ أم أن المقصود بها ما جاء عن طريق أهل الكتاب ، سواء أكان ذلك عن طريق اليهود أم النصارى ؟

الواقع أن الإسرائيليات إذا ذكرت تشمل ما جاء عن طريق الفكر اليهودى وما جاء عن طريق الفكر النصرانى ، وأطلق على الجميع لفظ : «الإسرائيليات» من باب التغليب للفكر اليهودى على الفكر النصرانى ؛ لأن الأول هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه وذلك لكثرة علمائهم وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بجماعة المسلمين . يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون : « ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون من أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيئ فى التفسير ؛ ذلك لأن الأمر لم يقف على ماكان عليه فى عهد الصحابة ، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً ، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع مما جعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها ، لاعتقاده أن الكل من واد واحد .

وفى الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات ، وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب ، وأخبار لا تصح .

كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح منها شيء إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة » (١) .

ويعلل ابن خلدون الأسباب التى جعلت بعض المسلمين يستمعون إلى أهل الكتاب ويأخذون منهم الغث والسمين إلى « أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولاعلم ، وإنما غلب عليهم البداءة والامية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم - وهم يسكنون البادية - ولاتحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم ، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة » (٢) .

وإذا كان ذلك كذلك ، فما موقف الشوكاني من الإسرائيليات ؟ أترأه وقف على أضرارها ، وتبين ضلالها فعمل على تنقية كتابه منها ؟ أم أنه سار على نهج من سبقه من رجال التفسير فكتب ما كتبوه ، ونقل عنهم خزعبلات الإسرائيليين ، وتفاهات الجاهلين ؟

إن الدكتور الغمارى - صاحب كتاب : «الإمام الشوكاني مفسراً» - يقول : « تفسير الشوكاني يمتاز عن غيره بقلة الإسرائيليات بل تكاد لا توجد فيه إلا للرد عليها » (٣) .

(١) راجع : التفسير والمفسرون ١ / ١٧٧ . (٢) راجع : مقدمة ابن خلدون : ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٣) راجع : الإمام الشوكاني مفسراً : ص ٢٧٩ .

نحن نختلف مع الدكتور الغماري فيما ذهب إليه ودليلنا على ذلك : « أن قصة هاروت وماروت والتي حشيت بها الكثير من كتب التفسير والادعاء الذي ذكره عطاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - والذي قال فيه : كان ابن عمر إذا رأى الزهرة وسهلاً سبهما وشتمهما ، ويقول : إن سهلاً كان عشاراً باليمن يظلم الناس ، وأن الزهرة صاحبة هاروت وماروت ». ذكره الشوكاني في تفسيره ^(١) ، مرة أخرى - بالرغم - من نقد الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ لهذه القصة بقوله :

« فهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل سليم بنهاية ركاكتها » ثم يقول : « إن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء ؟ وجعلها الله تعالى كوكباً مضياً وعظم قدره بحيث أقسم به في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنْصِ . الْجَوَارِ الْكُنْصِ ﴾ ^(٢) » ^(٣) .

ويقول القرطبي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ : « هذا كله ضعف وبعيد عن ابن عمر وغيره ، ولا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه إلى رسله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . ثم يقول : « ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ، وفي الخبر أن السماء لما خلقت خلقت فيها سبعة دوائر : زحل ، والمشتري ، ويهرام ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والقمر . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٤) ، ثبت أن الزهرة وسهلاً قد كانا قبل خلق آدم » ^(٥) .

قال ذلك الفخر الرازي والقرطبي في القرن السابع الهجري ، ثم يأتي الشوكاني بعد خمسة قرون ليردد ما رده بعض المفسرين السابقين ، ويعقب على ذلك بقوله : « وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى » ^(٦) ، ثم ذكر الحجاج القوية التي ذكرها القرطبي آنفاً .

والسؤال : ألم يكن في الإمكان تنقية تفسيره من مثل هذه الإسرائيليات ما دام من سبقه من المفسرين قد كفاه مؤنة الرد عليها ؟

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ ^(٧) ذكر الشوكاني في تفسيره ما ذكره المفسرون قبله من تفسير «السكينة» بالإسرائيليات ، والتي لا طائل فيها .

(١) راجع : فتح القدير ، سورة البقرة : آية رقم ١٠٢ .

(٢) التكويد : ١٥ ، ١٦ . (٣) راجع : التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢ / ١٧٠ .

(٤) يس : ٤٠ .

(٥) راجع : تفسير القرطبي ٢ / ٥٢ . (٦) راجع : فتح القدير سورة البقرة : آية رقم ١٠٢ .

(٧) البقرة : ٢٤٨ .

ولقد رد ابن عطية فى تفسيره على هذه الإسرائيليات بقوله : « والصحيح ١٠ كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأثر وتقوى » (١) .

ونفى القرطبى فى تفسيره كل هذه الإسرائيليات التى ذكرها المفسرون بشأن السكينة ، وخلص من ذلك إلى أن السكينة ما تنزل به الملائكة بإذن ربها على قلوب المؤمنين (٢) . وكان يكفى الشوكانى هذه الردود ويعمل على تنقية تفسيره من كل هذه الخزعبلات التى حشيت بها الكثير والكثير من كتب التفاسير السابقة .

صحيح أنه قال : « وأقول : هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقماهم الله ، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين » (٣) . وإذا كان الشوكانى قد رد ما جاء به رجالات التفسير السابقين عليه فأين ما قاله فى مقدمة كتابه ووعد به ، بأن تفسيره يحوى بدائع الفوائد ، مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد ؟

٤ - الشوكانى والأحاديث الضعيفة :

ما هو الحديث الضعيف فى عرف رجال الحديث ؟ أهو الحديث الذى سقط من سنده أحد الرواة ؟ أهو الحديث الذى لم ينقل عن العدول الثقات ؟ أهو الحديث الذى لم يسلم من الشذوذ والعلة ؟ أم أنه الذى تتحقق فيه هذه الأشياء مجتمعة ؟ وإذا كان ذلك كذلك أيجوز العمل به فى فضائل الأعمال ؟

إن جمهور العلماء يجوزون العمل به فى ذلك شريطة ألا يكون ضعفه شديداً ، أو له أصل مشاهد يندرج تحته .

وهناك من الأئمة من ذهب إلى أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً لا فى الأحكام ، ولا فى فضائل الأعمال ، ومن هؤلاء العلماء : يحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ت ٢٥٦ هـ ، ومسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ ، وعلى بن أحمد المعروف بابن حزم ت ٥٤٦ هـ .

وحجة هؤلاء أن الحديث الضعيف ليس بثابت ، بل الأغلب أنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف نلزم عباد الله بما لم يثبت لنا أنه مما شرعه الله ؟

يقول جلال الدين محمد بن سعد الدوانى الشافعى ت ٩٠٨ هـ : « وفى العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال إشكال ؛ لأن جواز العمل واستحبابه كلاهما من الأعمال الشرعية الخمسة ، فإذا استحباب العمل بمقتضى الحديث الضعيف كان ثبوته - أى ثبوت هذا الاستحباب -

(١) راجع : المحرر الوجيز . (٢) راجع : تفسير القرطبى ٣ / ٢٤٩ .

(٣) راجع : فتح القدير ، سورة البقرة : آية رقم ٢٤٨ .

بالحديث الضعيف ، وهذا يناهى ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة « (١) .

وقال ابن تيمية : « ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذى لا يحتج به ، فإن الاستحباب حكم شرعى ، فلا يثبت إلا بدليل شرعى ، ومن أخبر عن الله تعالى أنه يحب عملاً من غير دليل شرعى فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم » (٢) .

ويقول الخطيب البغدادي فى الكفاية . « ولو عمل العالم بخبر من ليس هو عنده عدلاً لم يكن عدلاً يجوز الأخذ بقوله والرجوع إلى تعديله ؛ لأنه إذا احتملت أمانته أن يعمل بخبر من ليس يعدل عنده ، احتملت أمانته أن يزكى ويعدل من ليس يعدل » (٣) .

وإذا كان ذلك كذلك ، فما موقف الشوكاني من الأحاديث الضعيفة ؟ يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون : « غير أنى أخذ عليه — كرجل من أهل الحديث — أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعة أو الضعيفة ، ويمر عليها بدون أن ينبه عليها ، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٤) ، وقوله فى الآية ٦٧ من سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . يذكر ماهو موضوع على ألسن الشيعة ولا ينبه على أنها موضوعة ، مع أنه يقرر عدم صلاحية مثل هذه الروايات للاستدلال على إمامة على ، من ذلك قوله :

« وأخرج الخطيب فى المتفق والمفترق عن ابن عباس قال : تصدق على بخاتم وهو راعى فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم للسائل : « من أعطاك هذا الخاتم ؟ » قال : ذاك الراعى . ؟ فأنزل الله فيه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ، ثم يمر على هذه الرواية الموضوعة — باتفاق أهل العلم — ولا ينبه على ما فيها . وفى الآية الثانية نجده يروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدِير خم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ويروى عن ابن مسعود أنه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ — إن علياً مولى المؤمنين — وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ، ثم يمر على هاتين الروايتين بدون أن يعترضهما بشيء أصلاً (٥) .

ويتلمس الدكتور الغمارى الأعذار للإمام الشوكاني قائلاً : « ولعل الشوكاني قد أغض عن نقد الروايات التى وردت فى على — رضى الله عنه — لأنه فى الأصل هادى وكان المجتمع لا

(١) راجع : قواعد التحديث : ص ٩٩ . (٢) راجع : مجموع الفتاوى ١٨ / ٦٥ .

(٣) راجع : الكفاية : ص ١٥٥ . (٤) المائدة : ٥٥ .

(٥) راجع : التفسير والمفسرون ٢ / ٢٥٠ .

يسمح له بذلك لما كان يواجه من المشاكل التى طالما بث شكواه بها لكل من يثق به » (١) .

ولكن الدكتور الغمارى الذى اعتذر عن الشوكانى فى الروايات الخاصة بالإمام على - رضى الله عنه - يقول فى موضع آخر : « لقد وجدت بعض المآخذ ، ولا ينقص ذلك من قيمة تفسيره العظيم » . ثم يذكر بعضها قائلاً :

« ومنها سكوته عن تفسير مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (٢) ، قال : أخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن مجاهد فى قوله : ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها . ويعر الشوكانى ويسكت على هذا التفسير مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٣) » (٤) .

وإبليس من جملة المخلوقين لعبادته لا لمعصيته ، والحديث من طريق عبد الوهاب بن مجاهد ، وهو ضعيف ، ومعناه باطل مخالف للقرآن الكريم ، وفى رواية أخرى عند الطبرى : حدثني ابن المثنى ، حدثنا حجاج بن المنهال قال : حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه فى قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها (٥) .

قال الشيخ أحمد شاکر : وأما هذا الأثر بزيادة : وعلم من آدم الطاعة . فلم نجد فى موضع آخر ، وقد روى الأثر الأول سفيان الثوري عن مجاهد ولم يروه إلا من طريق ابنه عبد الوهاب . قال سفيان : عبد الوهاب كذاب ، وقال أحمد : لم يسمع من أبيه ، ليس بشيء ، ضعيف الحديث . وضعفه ابن معين وأبو حاتم (٦) .

وترك النقد من الشوكانى مع معرفته مما ينتقد [لا يجوز] ، لا سيما وأنه ألف فى الموضوعات كتاباً أسماه : « الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة » (٧) .

ثم ماذا ؟ لا شك أن هناك بعض الهنات القليلة الموجودة فى تفسير الشوكانى ، ولكن مع وجود هذه الأشياء ، فلا شك أن الشوكانى كان فارس عصره ، وعمل فى زمانه ، بما كتبه فى هذا التفسير وبما سطره وصنفه فى الفنون المختلفة ، الذى يجعله فى صف واحد مع أجلاء علماء التفسير أمثال : الطبرى ، وابن كثير ، وابن عطية ، والقرطبي ، والفخر الرازى .

(١) راجع : البدر الطالع ٢ / ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والتقصير : ص ٦٨ - ٧٠ نقلاً من الإمام الشوكانى مفسراً للدكتور محمد حسن الغمارى .

(٢) البقرة : ٣٠ . (٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) فتح القدير ، سورة البقرة : آية رقم ٣٠ ، نقلاً من الإمام الشوكانى مفسراً .

(٥) راجع . تفسير مجاهد ١ / ٤٦ ، والطبرى ١ / ٤٧٨ ، والدر المنثور ١ / ٤٦ .

(٦) راجع : الميزان ٢ / ٦٨٢ ، ٦٨٣ . (٧) راجع : تفسير الطبرى ١ / ٤٧٨ .

عملنا في هذا السفر الكبير

هل يستطيع الإنسان — في عالمنا المعاصر — أن يعبر عن ذاته ، أو يقدم وصفاً لبعض أعماله أمام الآخرين وفيهم المادح والقادح ؟

وإن كان في مقدوره ذلك أترأه يلتزم الدقة والموضوعية فيما سطرته براعته من قول أو يقدمه من عمل ؟

إن من أصعب الأشياء على النفس المؤمنة أن يقف صاحبها ليتكلم عن مجهوداتها أو يستعرض عملاً من أعمالها . وخصوصاً إذا كانت هذه الأعمال يبغى بها وجه الله تعالى ويرجوه في يوم قال عنه : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١) ، ويخافه في يوم قال عنه : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ (٢) .

إذا كان ذلك كذلك ، فأقول : إن العمل في كتب التراث عمل شاق ومرهق ، ترى فيه المسلك الوعر والطرق المتشعبة . والسلوك في دروبه يحتاج إلى الكثير من تقى ذوى الإيمان الخالص الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «التقى ملجم» (٣) ، ويحتاج إلى شفافية ذوى البصائر التى قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (٤) ، وفي نفس الوقت : يحتاج إلى همم الرجال ، وصلابة الأبطال ، وصبر الصابرين وعزيمة المتقين الباحثين .

ولا شك أن الأمر تكون أعباؤه أكبر ، ومسؤولياته أضخم ، إذا كان العمل في كتب التراث يتعلق بتفسير كتاب الله تعالى ، أو بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وكتاب فتح القدير للإمام الشوكاني في تفسير القرآن الكريم يعد من صفوة كتب التراث التى تفخر بها الأمة الإسلامية ، ولقد كتبه صاحبه بعد سياحة متأنية فى كتاب الله تعالى استغرقت عشرات السنوات من عمره المديد ، وأيضاً بعد دراسة فاحصة متعمقة لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نخله للمكتبة الإسلامية بكل علومها وفنونها ، ومعايشتها معايشة كاملة .

أضف إلى ذلك عقلاً ملعباً وذهنًا متفتحاً ، وموهبة من الله تعالى محلقة كانت عونهُ الأول فى إنجاز هذا العمل الكبير .

هذا عن الكتاب ، أما عن بداية عملى فيه ، فقد مرت على نكبات قاسية مؤلة تذهب بلب الحليم .

وليل من الأحداث ممتد وداج ، عايشته معايشة كاملة حتى أننى تصورت — فى لحظة من

(١) الكهف: ٤٩ . (٢) الطارق: ٩ ، ١٠ . (٣) راجع : تفسير القرطبي .

(٤) رواه الطبرانى والترمذى من حديث أبى أمامة وأخرجه الترمذى أيضاً من حديث أبى سعيد ، وقال النجم : «رواه البخارى فى التاريخ والترمذى والعسكرى وابن جرير » .

اللحظات - أنه ليس له آخر . واتهامات باطلة وأقاويل مفتراة حاصرتنى من كل جانب .
بعض أدعياء العلم وتجار المبادئ الزائفة الذين عبر عنهم القرآن بقوله تعالى : ﴿ شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١) ولما لم تكن هناك من وسيلة للخروج من هذا الليل المظلم . فلقد لُزمت دارى وأغلقت على بابى ، وأخذت نفسى بقول الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) .

وعكفت على كتاب الله تعالى أستلهم الرشد والسداد فى آياته ، وأطلب من ربى - من خلال تلاوته - الهداية والتوفيق .

وفى غمرة هذا كله ، وقعت يدى على هذا الكتاب « درة كتب التفاسير » واللمظة المضيفة على جهة التاريخ من تراثنا العملاق « فتح القدير » ، ومن خلال مطالعتى له - وترددى الكثير عليه - أحسست أن هذا الكتاب فى حاجة إلى عمل وجهد ، وإلى صبر وأناة ، حتى يمكن تنقيته من شوائب النساخ ، ومن بعض المآخذ التى فرضتها على مؤلفه طبيعة العصر ، وجمود الحركة العلمية ، وبعض الاعتبارات السياسية والمذهبية التى كانت تواكب الحياة فى عصر المؤلف .

ثم أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يقشع عنا الغمة ، ويفرج الكربة ، ويرد عن عبده كيد الكائدين ويبطل تدبير الحاقدين ، ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ (٣) ، عندها كان القلم يضع اللمسات الأخيرة فى هذه الموسوعة « المعلمة » فهل يأتى الخير من الشر؟ ولم لا .؟ « لقد قال مكحول : سمعت ابن عمر يقول : إن الرجل ليستخير الله تعالى فيخار له فيسخط على ربه - عز وجل - فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة فإذا هو قد خيره له » .

فمن يدرى فلعل وراء المكروه خيراً ، ووراء المحبوب شراً ، إن العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، هو الذى يعلم وحده ، حيث لا يعلم الناس شيئاً ، ولقد قال تعالى فى ذلك : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، وقال أيضاً : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٥) ، وفى هذا المعنى قال أبو سعيد الضرير :

ربَّ أمرٍ تتقيه	جرَّ أمراً ترتضيه
خفى المحبوب منه	وبدا المكروه فيه

ثم ماذا ؟

أولاً : لقد كان جل اهتمامى - بعد مراجعة النسخ المخطوطة والمطبوعة - الأحاديث والآثار التى جاءت فى هذا الكتاب .

(٣) البروج : ٢٠ .

(٢) الأنعام : ٩١ .

(١) الأنعام : ١١٢ .

(٥) النساء : ١٩ .

(٤) البقرة : ٢١٦ .

فعملت على تخريج الأحاديث والآثار ، واقتصرت على القدر الضروري فى ذلك ، تفاديا لتطويل الكتاب وإثقاله بالحواشى .

ولكن الناشر - جزاء الله خيرا - رغب أن يتم تخريج جميع الأحاديث وكذلك الآثار - فيما يتعلق منها بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والغيبات - مهما كلفه ذلك من نفقة ووقت ، فعهدت إلى لجنة التحقيق والبحث العلمى بدار الوفاء للقيام بهذا الجهد ، وكانت خطة العمل كالآتى :

١ - الأحاديث أو الآثار الموجودة فى الصحيحين للبخارى ومسلم أو أحدهما ، فيكتفى ببيان مكانها منهما أو من أحدهما ؛ لأن المقصود الاطمئنان إلى درجة الحديث ، وذلك حاصل بعزوه إليهما أو إلى أحدهما .

٢ - وأما الأحاديث أو الآثار التى لا توجد فى الصحيحين ولم يشر المؤلف إلى درجتها من الصحة أو الضعف ، فيتم تخريجها ، والإحالة إلى المراجع التى توجد فيها إلا ما تعذر العثور عليه مع ذكر أقوال العلماء فى درجة الحديث إن وجدت .

وقد روعى عند العزو أو التخريج من الصحيحين وغيرهما ما يلى :

أ - مراجع التخريج المرقمة اكتفى فيها بذكر اسم الكتاب ورقم الحديث .

ب - وغير المرقمة اكتفى بذكر اسم الكتاب - إن وجد - ثم الإحالة إلى الجزء والصفحة .

٣ - وبالنسبة للأحاديث الضعيفة أو المنكرة ، اكتفى بالإشارة إليها إشارة عابرة فى الهامش ، وقد تكلمنا عليها فى المقدمة ، مع التماس بعض الأعذار للشوكانى .

ثانيا : اهتمت اهتماما كبيرا بضبط الكلمات التى أرى أنها مظنة التحريف أو الخطأ عند النطق بها ، مع وضع علامات الترقيم كاملة ، والفصل بين العبارات والجمل المنقولة بحيث يستقل كل كلام عن غيره .

وتحقيقا لهذه الفائدة وضعنا الآيات القرآنية بين هاتين علامتين ﴿ ﴾ ، ووضعنا القراءات وكذلك الأحاديث النبوية والآثار بين هاتين علامتين « » ، والآيات التى استشهد بها تم نسبتها إلى سورها وترقيمها بين معقوفتين .

ثالثا : الآيات الشعرية التى استشهد بها المؤلف تم ضبطها بالشكل ونسبت إلى قائلها إذا لم تكن منسوبة عن طريق المؤلف ، وقد أشرنا فى الهامش إلى مواضعها التى توجد فيها ، وقمنا بشرح الكلمات الغامضة فى أبيات الشعر ، وذلك بالاستعانة ببعض المراجع اللغوية مثل الصحاح للجوهري أو لسان العرب لابن منظور .

رابعا : تم ترجمة الأعلام ترجمة وافية ، وبخاصة الأعلام التى لها باع فى علوم القرآن ، وأشرنا فى الهامش إلى المراجع التى أخذنا منها الترجمة ، سواء أكانت هذه الأعلام من

الشعراء أم المفكرين أم رجال الفقه والأصول ، مع تصحيح الأسماء من أوثق المصادر إن كان فيها بعض التحريف .

خامسا : كانت لنا بعض التعليقات فى الهامش ، إما تعجبا من أثر ضعيف ، أو ورود بعض الإسرائيليات التى نقلها الشوكانى من كتب التفسير السابقة ، ولم يعلق على بعضها بالقبول أو الرفض ، أو الإشارة إلى بعض النصوص للمفسرين السابقين .

سادسا : عهدنا إلى لجنة التحقيق والبحث العلمى بدار الوفاء للقيام بإعداد مجموعة من الفهارس العلمية اللازمة لتكون عوناً للقارئ فى هذه الموسوعة الكبيرة ، وذلك بالعودة إليها لتحقيق طلبته .

سابعا : أثبتنا القرآن الكريم طبق رسم المصحف العثمانى على قراءة حفص ، وفى التفسير اعتمد الإمام الشوكانى قراءة نافع .

وبعد : يطيب لى أن أختتم هذه المقدمة بما سبق أن قلته فى مقدمة كتاب « الفصل فى الملل والنحل » عند تحقيقنا له :

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

غرة رمضان ١٤١٢ هـ

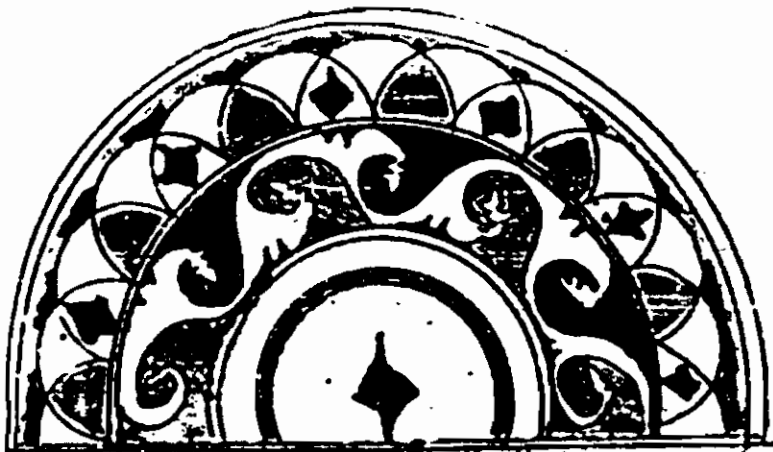
٤ - من مارس ١٩٩٢ م

أ.د . عبد الرحمن عميرة

فتح القدير الجامع من فتى الرواية
والدراسة مع علم القدير مولفها
المولى محمد بن محمد بن
محمد بن علي بن
محمد بن علي بن

[illegible][illegible]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره في قوله تعالى
 يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعم الله اليكم التي لا تحصى
 ان الله قد جعل لكم من الدين ما يثبت لكم ولما لم يثبت
 لكم من الدين فاعلموا ان الله شديد العقاب
 قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تعالى
 يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعم الله اليكم التي لا تحصى
 ان الله قد جعل لكم من الدين ما يثبت لكم ولما لم يثبت
 لكم من الدين فاعلموا ان الله شديد العقاب
 قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تعالى
 يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعم الله اليكم التي لا تحصى
 ان الله قد جعل لكم من الدين ما يثبت لكم ولما لم يثبت
 لكم من الدين فاعلموا ان الله شديد العقاب



كسر اسمه الرجز العظيم هو سائر جعل كما السبع كالايمان الاحكام
 شالا طارعة لعدوه من كمال ونكرام من حيا الا عظم عند تقياد الاقلام وتبان الاقلام و
 جالت الاقلام طامعا لقصصهم شافيا لقصصهم زعموا الا وهام في العرق الرقيق الذي يمشك بهاملا
 برزك الحق القويم والحكمة الرافعة التي رسكها قديمها الى الامم الجاهل المسمم فليجابه بطلع لوني
 بامهنة كل ما يحكم من التسلط واليافط وتوم بعض الملق بهد الكرم والمجيب كالايمان والصفات
 اللغيا للمنايع وتسلط اليه البواقي فان طالت دعواها وسلب قبولها واستتعت ما اخرجها
 ستار من الرقابا بساغة وتصارف من القشيبا بولي المرافعة ويجود وجوهه طابلا وصفات
 ضيا النور تنصب للاملا فتوكلهم من الاعطى بالقول طابلا من كل كمال الجاهل البغوي ففهم
 فالاعتناء بالخير من التيام عايبه من الاوسان العظام اولها المقام فاولف بامهنة امال
 ما الاكالة والاعظام والاصناف والاسلام على من مزل اليه الروح الامين بكلام رب العالمين
 محمد بن الحسن وعظم المسمى في كل المظهر من وجه الكرمين ويعمل فالتقدي
 العلوم على الاطلاق والاعمال الفضيل على الاحتياق وارضا دورا للاساق هو علم النفس
 لكلام القوي المسمى اذا كان على وجه الاعتبار في الزور والمصداق فهو شوبه في التفسير المسمى
 الذي هو اعظم لغيره وحدث الاشهر في هذا العلم فغيره المسمى في قسبا الى الانها هو كذا
 يعرفه من الفرق من كلامه المسمى في ودي ما يعرفه من كلامه المسمى في ودي ما يعرفه من كلامه
 فمنهم من استعنى من الطول ورمم فيه فليس يتأهل للتفصيل في هذا المقام
 حيث يقول في هذا المقام في الترمذي في سنة من سنة في هذا المقام في الترمذي في سنة من سنة
 فصل كلامه على سائر الكلام كفضل الله على عباده واما في هذا المقام في الترمذي في سنة من سنة
 الطلعيان المسمى في المكان رعت الى الدخول على نوبه وطلعت الى الترمذي في سنة من سنة
 اجابه وطلعت الغرض على كذا كذا في الترمذي في سنة من سنة وطلعت الى الترمذي في سنة من سنة
 وان كان ارجو صلاها فاقول ان غالب المشرق من قوا وقاش وسلكوا طرعه المسمى
 الاول امتروا في ناسيرهم على هذا الرواية وقنعوا برفع هذا الرواية والرواية الاخرى والاعظام

يا حبيبتي

يا حبيبتي

يا حبيبتي

يا حبيبتي

الها

